الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون –تيارت–

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

الفرع: دراسات أدبية

التخصص: أدب حديث ومعاصر

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في اللغة العربية وآدابها

موسومة بـــ:

البعد الاجتماعي في روايات محمد مفلاح

إعداد الطالبتين:

* رابحـة بلحسن
* حنـــان حاجـي

إشراف الأستاذ:

* د.شريف حسني عبد القادر

أعضاء لجنة المناقشة:

1- د.عطاء الله ناصر..... رئيسا

2- د.شريف حسني عبد القادر.....مشرفا ومقررا

3- د.بوشيبة عبد السلام.....عضوا مناقشا

السنة الجامعية :

1440هـ-1441هـ/2019م-2020م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

نحمد الله تعالى ونشكره على إتمام هذا العمل، ونصلي ونسلم على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من لم يشكر الناس لم يشكر الله)، واقتداء بهذا الهدي النبوي، نتوجه بخالص الشكر والتقدير والعرفان إلى أستاذنا الفاضل الأستاذ الدكتور: شريف حسني عبد القادر، ولا يفوتنا ذكر من قدم لنا يد العون وأنار بحثنا، بالإضافة إلى من أصبغوا علينا من توجيهاتهم، ونصائحهم القيمة، وشجعونا على البحث والاطلاع، خاصة زملاءنا داخل الكلية وخارجها، ولا ننسى صبر أستاذنا الفاضل علينا، واحتماله للهفوات التي كنا نقع فيها، وإرشادنا إلى تلافيها،

فله منا جزيل الشكر والتقدير

كما نمتن للجنة المناقشة التي ستفيض علينا

بتوجيهاتها القيمة وملاحظاتها السديدة.

إهـــــــداء

إلى التي على بساط الأوجاع ولدتني، وبأيدي الأنام ربتني، ومن المشقات حمتني، إلى التي كتبت تاريخ ميلادي، ورسمت مستقبل وجودي، إلى شعار الطهر ورمز العفاف، إلى من يفيض قلبها رحمة وحنان ولا يمكن أن يوفّى أجرها أو يردّ جميلها مهما طالت الأعمار، إلى من حملتني وهناً على وهن، وأرضعتني كأس الفضيلة وزرعت في قلبي بذرة الأمل إلى أغلى الناس وأرق الإحساس "أمي الحبيبة".

إلى أغلى الناس والدي، الذي لم يبخل علي بشيء، إلى إخوتي وأخواتي أهديكم ثمرة جهدي، وإلى كل الذين ساعدوني وساندوني ولو بكلمة طيبة، إلى كل الأساتذة الكرام والأصدقاء الأوفياء.

إلى من وسعتهم ذاكرتي ولم تسعهم مذكرتي.

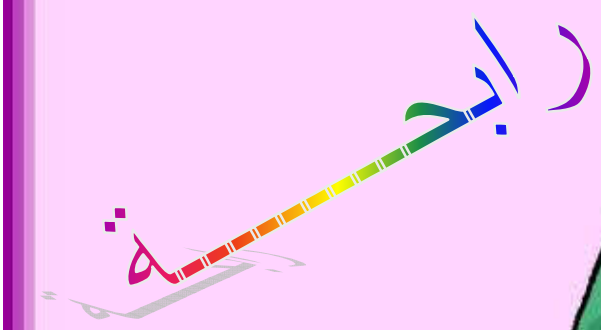

إهداء

إلى الوالدين الكريمين حفظهما الله

إلى إخوتي الأعزاء

إلى كل عائلتي الكريمة "حاجي"

إلى اصدقائي وزملائي وأحبائي

إلى كل من أوجدهم الله لمرافقتي في مشواري الدراسي

وإلى كل طلبة الأدب العربي

وإلى كل من علمني حرفا

وإلى كل أسرة الأدب العربي

حنين

مقدمة

مقدمة

تعد الرواية من أهم الأشكال السردية التي احتلت الصدارة في الدراسات الأدبية الحديثة، حتى أضحت اليوم الفن الكتابي الأكثر شهرة من الفنون السردية، فالرواية في معناها الحديث تفرض مجتمعا منتظما، باعتبارها تُولَد من رحم المدينة، كما تعتبر وسيلة من وسائل التعبير عن الأفكار، وما يختلج في ذهن الواحد منا، مقدمة بذلك جملة من المعاني التي تحتاج إلى القراءة والتأويل، مستمدة مادتها من الإنسان والمجتمع، وأحداثها صراعات الأفراد داخل المجتمع، وحتى في صراعات الفرد مع نفسه.

إن ارتباط الرواية بالحياة والمجتمع جعلها ذات طبيعة خاصة وذات وظائف محددة، وصورة خيالية مركبة من أشخاص وأفعال وأقوال وأفكار، وجنس مركب من الأحداث التي تجري في المجتمع ردا على شاكلة الأشخاص الفاعلين فيه، كما تعبر تعبيرا دقيقا وصادقا عن واقع الصراع الإنساني وتكشف عن حقيقته، حسب وجهة نظر الكاتب، أو الناقد، أو القارئ، وبصورة مكتوبة بلغة نثرية منتقاة من اللغة التي يستخدمها الناس في المجتمع، ومعبرة في الوقت نفسه عن خطاباتهم وأصواتهم.

ومن هذا المنطلق وقع اختيارنا على أعمال محمد مفلاح الروائية، لنسم العمل بالعنوان التالي:

البعد الاجتماعي في روايات محمد مفلاح

هذه الروايات التي حاول من خلالها الروائي، وعلى مدار سلسلته الروائية الإبداعية كاملة، معالجة قضايا تركز على المجتمع الجزائري بكل ما يحمله من هموم ووقائع أثقلت كاهله، فقد كانت قضايا المجتمع بمثابة الدعامة والركيزة الأساسية التي يعول عليها الروائي في عمله الإبداعي.

وقد ركزت هذه المقاربة على هذه الكتابات الروائية التي تفردت بدراسة تجربة واقعية أعطت ميزة خاصة للأدب الجزائري، وكذلك تأكيدا على رغبة النفس لدراسة الفن الروائي الجزائري، ورغبة منا بإنماء وعينا بالمتغيرات الاجتماعية والتاريخية، واتساع ثقافتنا بمعرفة الواقع الجزائري وخلفيات قضاياه، ووجدنا كل هذا التنوع في إنتاج الروائي محمد مفلاح وقرب نصوصه من الواقع.

وتأسيساً على ما سبق، فإلى أي مدى تجلى البعد الاجتماعي في روايات محمد مفلاح؟ وهل عالجت هذه الروايات اختلالات المجتمع؟ أم أنها طرح لهذه الاختلالات؟ وهل كانت هذه الروايات عبارة عن مطولة روائية متماسكة؟ أم أنها كانت منفصلة؟ وهل فعلا نقلت هذه الروايات ما يعانيه المجتمع؟ أم أنها ضعيفة الطرح؟ وإلى أي مدى انفتحت هذه الأعمال في طرح هذه المشاكل؟ فهل كانت عامة للمجتمع الجزائري؟ أم أنها كانت محلية مرتبطة بالمجتمع الغليزاني؟ وما هي أهم القضايا التي عالجها الروائي في رواياته؟وهل فعلا كانت ذا بعد اجتماعي احتوى كل ما يعانيه الجزائري؟ أم أنها كانت ضعيفة الاحتواء؟ كل هذه تساؤلات وأخرى، يمكن أن تجيب عليها هذه الورقة البحثية التي نقدمها بين أيدي سادتنا الأساتذة الأفاضل، لإنارة دربنا وتقويمنا وتقييمنا.

وبعد الاطلاع على الأعمال الروائية محل الدراسة، والوقوف على ما قدمته من قضايا اجتماعية عاشها المجتمع الجزائري، كما عاشتها المجتمعات الأخرى، رَأينا أن أَنْسَب منهج يمكن أن ننتهجه ونستفيد من أدواته؛ هو المنهج الاجتماعي، أحد أهم المناهج السياقية التي تتبع قضايا ومظاهر المجتمعات؛ والمجتمع الجزائري أحد هذه المجتمعات. وعلى هذا الأساس جاءت خطة البحث، مرسومة كالتالي: مدخل، وثلاثة فصول، وخاتمة حوت جملة النتائج المتحصل عليها من خلال المقاربة والتطبيق.

وهنا علينا أن نشير إلى أن العناصر الموظفة في كل فصل، والتي جاءت على شكل مباحث قد تفاوتت من حيث العدد، والسبب في ذلك يعود إلى طبيعة المادة المدروسة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى أن عدد العناصر يختلف باختلاف العناوين. وانطلاقا مما سبق ذكره جاءت هندسة المكان النصي كالآتي:

المدخل وقد جاء كتمهيد لواقع الجزائر في شقه المتأزم، وقد وسمناه بالعنوان التالي:

الواقع الاجتماعي في الجزائر.. الظاهرة والمفهوم.

وفيه تمّ التركيز على قضايا المجتمع الجزائري، من خلال تقديم صورة مبسطة لما يعانيه هذا المجتمع، وما يعيشه في ظل التطورات التي تطرحها الساحة، وخاصة بعد الوضع الثقافي والسياسي والاجتماعي الذي عاشه هذا المجتمع عهد الاستعمار، والذي لم يكن مواتيا لازدهار الثقافة والأدب.

في حين جاء الفصل الأول بعنوان:

صور التواصل الاجتماعي في روايات محمد مفلاح والعلاقات الاجتماعية الأسرية

وفيه تمّ التركيز على طبيعة الإنسان الاجتماعية التي تفرض عليه أن يعيش بين أهله وبني جلدته، إذ لا يمكنه العيش بمعزل عن الغير، لذا لا ينحصر مفهوم التواصل الاجتماعي عند العرب بالصلة إن صح التعبير، وإنما هناك صفات وشمائل اتصف بها بعض الأسر التي كانت أداة لهذا التواصل الذي أصبح من أثرها تحصيل حاصل وعلى ما يبدو فإن في ذلك عدة أوصاف حتى إنه قيل أن السخي سمي (الظريف) عند العرب لأنه الرجل الكريم، فقد ارتبط بالجانب المعنوي الكثير من الصفات الدالة على التواصل ومنها: المواساة مثلا، وانطلاقا من هنا فقد تمّ التركيز على العناصر التالية:

- **إشاعة روح الألفة بين الناس.**
- **الرغبة في التواصل مع الغير.**
- **الروابط الأسرية (صلة الرحم، التهاني...).**
- **الزواج.**
- **العزاء والتأبين.**
- **تمكين المرأة من المشاركة في المجتمع.**
- **العدالة.**
- **استخدام العامي في الحياة الاجتماعية.**

- **الحوار**
- **تجاوز الذاتية والنرجسية**
- **الحرية**

وهنا علينا أن نشير إلى أن هذه العناصر لا تعني أنها هي فقط، صور التواصل بين بني البشر، وإنما جاء ذكر هذه العناصر حسب ما توفر في الروايات مجال الدراسة.

وجاء الفصل الثاني بعنوان:

صور التنافر الاجتماعي في روايات محمد مفلاح

إن التركيز على صور التواصل الاجتماعي فرض علينا أن نقدم ما يقابلها، من صور للتنافر وظفتها روايات مفلاح، مع الإشارة إلى أن هذه العناصر ليست شاملة لكل مظاهر المجتمع في شقه السلبي، وإنما هي ما توفر من مادة في هذه الأعمال، ومن ذلك ما يلي:

- **التطرف.**
- **الجريمة.**
- **العنف.**
- **التهميش والحاجة إلى الانتماء.**
- **الهجرة أو الاغتراب.**
- **الخمر.**
- **غياب الأمانة في المجتمع.**

أما الفصل الثالث فقد جاء على الشكل التالي:

أثر العولمة في المجتمع الجزائري

يثير مفهوم العولمة الكثير من النقاش والجدل ابتداء من تحديد المفهوم، واختلاف النقاد في ضبطه، ومن ذلك ما قدمه التعريف القريب والبسيط، على أن العولمة هي: "عالمية العادات والقيم والثقافات لصالح العالم المتقدم اقتصاديا".

وبمعنى آخر: محاولة سيطرة قيم وعادات وثقافات العالم الغربي على بقية دول العالم، خاصة النامية منها، بشكل يؤدي إلى خلط كافة الحضارات وإذابة خصائص المجتمعات، هذا بالإضافة إلى تهميش العقائد الدينية، وفيه تمّ التركيز على ما قدمته هذه النصوص الروائية من وسائط، ومن ذلك ما يلي:

- **التلفاز.**
- **الأنترنيت.**
- **الهاتف النقال.**
- **الإذاعة.**
- **الصحافة.**

وفي الأخير حَوَت الخاتمة جملة النتائج المتحصل عليها، وإن جاءت هزيلة، إلا أنها زبدة العمل، فقد جاءت –في رأينا– مُركّزة شملت كل ما تمّ تقيمه في فصول البحث.

أما بالنسبة للمراجع التي تمّ التركيز عليها أكثر من غيرها، والتي عُدت على أنها من ضمن المصادر بحكم المادة النظرية، وحتى التطبيقية التي تقدمها، وهي مراجع أنارت لنا ما غَمُض، وأماطت اللثام عن المخبوء، ومن هذه المصادر والمراجع، ما يلي:

- محمد ساري، الأدب والمجتمع.
- أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري.
- سعيد يقطين، قضايا الرواية العربية الجديدة.
- سليمان بن صالح الخراشي، العولمة.

وإذا كان هناك من صعوبات فهي كثيرة، وخاصة أمام طالب يبدأ بحثه بمقاربته للأعمال الروائية، ويعلم الأستاذ تمام العلم أن البحث في الرواية ليس بالسهل، ولا يسيرة مسالكه، فكان القبض على المصطلح أشد هذه الصعوبات، مما جعله زئبقيا، فكلما تمكنّا منه تملص ليأخذ مفهوما آخر يختلف باختلاف الدارسين.

وكان حجم الروايات هو الآخر صعوبة من الصعوبات أين تداخلت اللهجات واختلفت، فاحتوتنا الروايات بعددها وحجم مادتها، وهو ما صعّب علينا تحديد المقصود والمبتغى، فكانت الأفكار تحتاج إلى شيء من البسط والطرح للوصول إلى معانيها المخبوءة، وذلك يحتاج إلى من عرف التأويل واشتغل عليه، وتعرفون أن هذا جهد المقل.

هذا بالإضافة إلى ضيق الوقت، وخاصة في الظروف الراهنة التي فصلت الطالب عن المكتبات، وعن اللقاءات التي كانت بين الطالب والطالب، وبين الطالب والأستاذ، حتى وإن قدمت الوسائط الإلكترونية خدمات لا يستهان بها، إلا أنها تظل قاصرة، لأن هذه البحوث هي أعمال اجتماعية قبل كل شيء تحتاج إلى اللقاء المباشر بين كل المساهمين في إنتاج هذا العمل بما في ذلك الإدارة، والمكتبي، والزملاء، والأساتذة كل في تخصصه، ومع كل هذا فقد خرج البحث على هذه الصورة التي بين أيديكم سادتي الأساتذة الأفاضل، علما منا أن البحث قاصر لا محالة، فنرجو أن تقوموا بحثنا، وتُقيِّموا عملنا ومستوانا ليخرج البحث في صورة مقبولة عَلَّها تكون بداية لبحوث أخرى.

وإذا كان هناك من كلمة شكر فأولى بها أستاذنا الدكتور عبد القادر شريف حسني، الذي لم يبخل علينا بما طلبنا، فكان لنا المعين على تخطي هذه العتبة التي نرى أنها من جملة عتبات النجاح بإذن الله، فله منا كل الاحترام والتقدير.

تيارت: 2020/05/22

بلحســـن رابحـــــة

حاجـــــي حنـــــان

مدخل

الواقع الاجتماعي الجزائري

- تحديد المقصود والظاهرة.
- علاقة الرواية بالواقع: الرواية والواقع.
- قضايا المجتمع: قضايا الرواية العربية.
- الواقع الاجتماعي في الجزائر.
- صورة المجتمع الجزائري.

تمهيـــــد:

شهد الأدب الجزائري تغيرا ملحوظا في السنوات الأخيرة من القرن الماضي، متأثرا بالأحداث السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي عاشتها الجزائر في فترة الاستعمار الذي ساهم بشكل كبير في هذا التأثير، فذلك التأثير أعطى ميزة خاصة لأدب تلك الفترة، باعتباره إنتاجا لما خلفه من ضعف وتذبذب لأوضاع المجتمع الجزائري، وهذه الأخيرة مرت بأحداث جعلت الأعمال الأدبية تضعف، فذلك الثراء الفني لم يلق الحظ الوافر من المقاربات النقدية لأن هذه الأخيرة تعني رفع التحدي والجرأة في وقت حرمت فيه بعض الأقلام التعبير عن الواقع المؤلم للكشف عن الحقيقة.

تحديد المقصود والظاهرة:

لجأ بعض الأدباء والمفكرين والمثقفين في تلك الفترة إلى الهجرة بحثا عن ملاذ آمن لإفراغ كبتهم وإخراج إبداعاتهم إلى العلن، في حين البعض الآخر من نخبة المثقفين لزم الصمت نتيجة للضغوطات التي كانت تمارس في حق هؤلاء المبدعين، حتى أنه وصل الأمر ببعض الكتاب، وهذا ما أقره الجيلالي خلاص في قوله: «فإن واقفين الكل –والبعض– فليذكروا أن صحافي وكالة الأنباء الجزائرية بن مشيني قتل يوم 10 أكتوبر 1988، وأن الشاعر بوخالفة انتحر يوم 1980، معذرة أنا أعتبر الانتحار تعبيرا مأساويا عن رفض الواقع»[1].

ما لبثت الجزائر أن تعيش وتتذوق طعم الحرية التي تكبدت عناء الحصول عليها بعد مائة واثنان وثلاثين سنة تحت وطأة الاحتلال وتعسفه.

يستدعي الخطاب الروائي قضايا وانشغالات المجتمع في مختلف تحولاته، وانشغالات المجتمع في مختلف تحولاته، كما يستدعي المصادر الثقافية ويحاور المرجعيات عندما يشكل هويته النص، ويعد المرجع الاجتماعي أهم التكونات التي تجسد وتشكل عبر بنيتها الدلالية المنظور

[1] الجيلالي خلاص، أفق الشتوى (مقالات في الأدب والسياسة)، موقع النشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص: 27.

الفكري الروائي.[1]لقد اقتربت الرواية الجزائرية من المشاكل الاجتماعية بكل امتداداتها المختلفة وبحثت فنيا في حضورها السياسي، ضمن أفق السرد الواقعي كما حضر الطرح الإيديولوجي بأبعاد دلالية، تكون رمزية في الغالب وتقرأ في السرد الجديد الشأن المجتمعي الجزائري، أي الصدام مع رؤية السلطة السياسية، وإنما تود الفكري الاجتماعي هو صور المتغيرات التي أصابت الوطن.[2]

«وقد تكرس خطاب جديد في ظل التأثر بسلسلة الاهتزازات العميقة التي خلخلت بنية المجتمع الجزائري وقوضت أسس منظومته القيمية والثقافية، بدا ذلك جليا في الشعور بتنامي الوهم الإيديولوجي وزيف الشعارات الثورية وتهاوي الأحلام الوطنية الكبرى وتنامي أشكال العنف الاجتماعي والسياسي»[3].

لقد استعان الروائي الجزائري بأدوات فنية متعددة لقراءة الراهن، وكل ذلك تجده في روايات عبد الله حمادي "تنفست"، ومحمد مفلاح "شعلة المائدة" وبشير مفتي "أشجار القيامة.[4]

علاقة الرواية بالواقع (الرواية والواقع):

يستدعي الخطاب الروائي وقضايا وانشغالات المجتمع في مختلف تحولاته كما يستدعي المصادر الثقافية ويحاور المرجعيات، وعندها يشكل هويته النص، ويعد المرجع الاجتماعي وأهم التكوينات التي تجسد وتشكل عبر بنيتها الدلالية المنظور الفكري الروائي.

«ظهرت الرواية قبل قيام المجتمع الرأسمالي، فقد انصب نضال الروائيين تسرفانتسدابوتي ضد استعباد الإنسان في القرون الوسطى، وتمثل الحرية الفردية المثل الأعلى لهم، ومع ظهور

[1]عبد الوهاب شعلان، الخلفيات السوسيوثقافية للخطاب الروائي الجديد في الجزائر، مجلة التواصل في اللغات والآداب، العدد 41، جامعة باجي مختار، عنابة، مارس 2015، ص: 137.

[2]ينظر المرجع نفسه، ص: 137.

[3]فوزية عساسلة، صفوة الكتاب في اللغات والآداب، كلية الآداب واللغات، جامعة 8 ماي 1945، العدد 02، ص: 08.

[4]ينظر المرجع نفسه، ص: 11.

تناقضات المجتمع البرجوازي اضطر الروائيين إلى خوض صراع ضد عبودية الإنسان في المجتمع الجديد واتسم الأسلوب بالواقعية الفنتازية»[1].

إن السرد الروائي لا يعكس الواقع الاجتماعي والثقافي والسياسي لمجتمع من المجتمعات بقدر ما يصفه بالأعمال الأدبية، وهي صورة تمثيلية لهذا المجتمع، ويكمن ذلك في الاهتمام لمعالجة مختلف قضاياه.

«يكمن وصف عصر الواقعية بأنه عصر الثقة والتعويل عليه في حل مشكلات التقدم وعصر الفكر الاجتماعي، وعصر الطبقات الدنيا والوسطى، فجاء الأدب الواقعي انعكاسا لتلك الملامح الأساسية، ولهذا فإن بعض النقاد يعرّفون الواقعية بأنها تعني الأدب الذي يقوم على ملاحظة الواقع وتسجيله بدون إسراف في التخيل والعواطف، وهو الأدب الذي يأخذ موضوعاته ونماذجه من لبن أفراد الشعب، أي الطبقات الدنيا بعيدا عن الطبقات الرفيعة في وصفها الاجتماعي»[2].

لقد طرح الكتاب والباحثين عدة تساؤلات تخص الإنتاج الأدبي والظروف المحيطة بالكتاب من بينها: هل كانت الظروف بمثابة السبب الرئيسي في معرفة ونمو الإنتاج الأدبي؟

إن معظم الأدباء والكتاب قد نشئوا وترعرعوا في أحضان تلك الظروف، ولم تسمح بأن تخصب إنتاجا أدبيا على عكس نظريتها في المشرق والمغرب، لقد أقر بعض الكتاب أن الاستعمار هو الدافع القوي والمحفز الأول لتوسيع المفاهيم والمصطلحات، وعملت على إخراج الأدب من بوتقة الضعف والضحالة التي طبعت عليه أثناء الفترة الاستعمارية.

إن الوضع الثقافي والسياسي والاجتماعي في الجزائر في العهد الاستعماري لم يكن مواتيا لازدهار الثقافة والأدب.

---

[1] محمد ساري، الأدب والمجتمع، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، دت، ص: 23.

[2] ينظر داود عطاشة وحسين راضي، النقد العربي قديمها وحديثها، دار العلمية الدولية للنشر والتوزيع، ط2، عمان، الأردن، 1952، ص: 136.

«إن الاستعمار رغم السلبيات المختلفة التي خلقها وراءه إلا أن له جانبا إيجابيا، فقد لون الأدب الجزائري وأعطى أبعاد مختلفة التي خلقها وراءه، فمن الواضح أن جل الأدباء والروائيين من أمثال شوقي، وأبو العيد دودو في مجال الشعر، أما فيما يخص النثر نجد الظاهر وطار، وعبد الحميد ابن مدوقة، ومحمد مفلاح وغيرهم، تلك العوامل لم تسمح بموت المؤلف كما ذكر ذلك بعض المؤلفين والمفكرين»[1].

إن المذهب الواقعي هو الذي توافق مع رغبات الكتاب الجزائريين باعباره مذهب يستقي مادته من الواقع المعاش، وبما أنه كان واقعا ضيقا ويحتاج فيه الفرد للتعبير عن نفسه والبوح بمشاكله ساعيا لالتماس حلول لها، لقد استغله الكتاب للتعبير عن نفسهم وعن أبناء مجتمعه «إن الظرف التي تلت الحرب العالمية الأولى هي التي فتحت المجال لظهور المذهب الواقعي في الرواية الجزائرية»[2].

ومن المعروف لدى الدارسين الذين تناولوا الرواية الجزائرية بدراستها وتحليلها، أن مواضيعها كانت تصب في فكرة واحدة واختلفت طرق التعبير فيها وبتجسيد موضوعها في «حياة الإنسان في بيئة معينة وفي وضعه الاجتماعي، مما يطبعه من بؤس أو رخاء وعلاقته بالإنسان والأرض وموقفه من الأنظمة والقوانين الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، وأخيرا في مشاعره وأحاسيسه وعواطفه أنه واقع يشمل مظاهر الوجود الإنساني في مجتمع معين»[3].

ومما لا شك فيه «أن الواقع الذي كان يحمل عدة تناقضات، كما أنه كان مجتمعا تسوده العزلة والحرمان، حيث كان الشعب يعاني من الشقاء والبؤس ولهذا سادت الواقعية»[4]، ويعد الواقع أول حلقة تثير انتباه الأديب خاصة الحلقة الاجتماعية الذي يحاول فيها تحديد المشاكل الاجتماعية ومحاولة بيان أسبابها من أجل معالجتها، فالحالة الاجتماعية تؤثر في جميع الأصعدة الأخرى.

---

[1] أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب، دط، الجزائر، 2007، ص: 56.

[2] المرجع نفسه، ص: 98.

[3] محمد مصايف، النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1984، ص: 290.

[4] المرجع السابق، ص: 56-57 بتصرف.

إن ظهور الواقعية في الرواية الجزائرية كانت ذات صلة تأثرية بشيوع هذا المذهب في الضفة الأخرى، وهذا ما يؤكده الروائي "محمد مفلاح" قائلا: «لقد ملت منذ البداية إلى الكتابة الواقعية متأثراً بالروايات الغربية والعالمية، ولاشك أن هذا الميل يناسب طبيعتي النفسية ويعبر عن توجهاتي الفكرية ورؤيتي الفنية فالتزمت هذا الأسلوب الذي أراه ملائما للتعبير عن عواطفي الخاصة، ومشروعي الثقافي»[1].

ويربط "عبد الله الركيبي" نجاح الرواية الجزائرية بالتجربة الذاتية للأديب وهو يقصد بأن يكون الكاتب معايشا لما يكتبه حتى يحس بعمله.

«وتعد القضايا التي تناولها الكتاب الواقعيون الجزائريون قضايا اجتماعية واقعية، حيث لم يتكلفوا العناد في نقلها بل جعلوا من كتاباتهم تصويراً لواقعهم لا أكثر، وبالتالي فقد عكس هذا المذهب وبالدرجة الأولى التعبير عن الواقع بما يحمله من مفارقات وتناقضات على عاتقه تناول القضايا الاجتماعية من خلال ارتباطها الوثيق بالمجتمع والتي كانت في مجملها تجسيداً للواقع المرير والنزاعات الفردية شكلت بذلك الصراع الطبقي بصورته المادية، تتخلل مساماته ضحايا الفقر والبطالة والأمية بكل ما تعانيه الأمم والوطن الجزائري»[2].

«إن مختلف الظروف والعوامل التي طبعت الإنتاج الأدبي خصوصا بعدما تشاع بعد الحرب العالمية الأولى، فقد شلل المعايير الأولى التي تبنى عليه الرواية الجزائرية، تلك العوامل ساهمت في ظهور المذهب الواقعي، وهي لم تنشأ من العدم بما يحمله من مفارقات وتناقضات حمل على عاتقه تناول القضايا الاجتماعية من خلال ارتباطها الوثيق بالمجتمع، والتي كانت في مجملها تجسيد للواقع المرير والنزاعات الفردية والإيديولوجية شكلت بذلك الصراع الطبقي بصورته المادية لتتخلله مساماته الفقر، البطالة والأمية، وكل ما تعانيه الأمم والوطن العربي والجزائري»[3].

---

[1] على الرابط http.www.alkhitabuss.ordiblogst(op).com/2011/6molaypasthtml على الساعة 14:30.

[2] أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ص: 57. بالتصرف.

[3] المرجع نفسه، ص: 57-58.

إن المتأمل في الإنتاج الأدبي يرى أن الرواية ظهرت وليدة المجتمع لتأثرها بالواقعية التي تطور بشكل تدريجي بدءا بالحياة الاجتماعية لتنتهي بالتيارات والاتجاهات المختلفة والمنبعثة من الغرب «ولقد ركزت الرواية في منطلقاتها على الجانب الاجتماعي وأعطوه أولوية وعناية خاصة، وهذا ما تجلى بوضوح في كتابات بعض الروائيين من خلال القضايا المختلفة من بينها غادة أم القرى لرضا أحمد حوحو، ومرزاق بقطاش وغيرهم، حيث تجلت معالم الواقعية في اتجاه البعض منهم، فقد نحو منحى إيديولوجي من خلال تصوير المشكلات الاجتماعية، وجسدت بأحداثها أبطالا واقعيين مثلت صور من الحياة، عليها طالة البيئة والارتباط بالماضي، والتأمل بالحاضر والمستقبل أملا منها بالتغيير والتقدم نحو الأفضل»[1].

قضايا المجتمع (قضايا الرواية العربية):

لقد اقتربت الرواية الجزائرية من المشاكل الاجتماعية بكل امتداداتها المختلفة والبحث فنيا في حضورها السياسي والاجتماعي ضمن أفق السرد الواقعي.

«قضايا الرواية العربية هي بشكل أو بآخر قضايا المجتمع العربي، وإنها متعددة ومتنوعة ومتشعبة تشعب وتنوع وتعدد قضايا الإنسان، في العصر الجديد عندما انتبه العربي إلى نفسه، منذ نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين وجد نفسه محاطا بأسئلة لا حصر لها حول ذاته ووجوده في علاقتها بالعالم المحيط به، كانت الدهشة والصدفة الكبرى بينه وبين الغرب من جهة وبين حاضره وماضيه من جهة أخرى»[2].

لكل مجتمع مشاكل حقيقية وأخرى مزيفة، والأديب الواعي يميز بإحساساته بين هذه المشاكل، وهو لا يهتم إلا بالأساسية التي تؤثر على مسيرة المجتمع، «تكبر قضايا المجتمع الجزائري مع التطور، التخلف، الشيعية، القمع، وتختزل كلها في إشكالية السلطة السياسية، الحاكم، الاجتماعية، الطائفة، القبيلة، الأعراف، والعادات والتقاليد، تطرح الشورى إلى جانب الديمقراطية

[1] أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ص: 59.

[2] سعيد يقطين، قضايا الرواية العربية الجديدة الوجود والحدود، الدار العربية للعلوم ناشرون، الرباط، 2012، ط1، ص: 08.

لحل مشكلة السلطة وتختلط القبيلة بالقوى الاجتماعية فإذا بالزعيم إمام، وبالرئيس مجلس الشعب بصورة مركبة لا وجود فيها في الوطن، والمواطن يختلط فيها الفردي بالاجتماعي وتكثر التمييزات، وأخيرا بدأ يشع مصطلح الطبقية والألوان القبلية وهذه الأطياف قابلة للتوالد لأن كل طبقة يرى أن له الحق في الوجود ما دامت هناك أطباق وأطباق... إنها غير قابلة للحصر أو العد»[1].

لا يمكن للقضايا أو المشاكل أن تتعدد وتتنوع وتتشابك فتتسع الهوة بين مكونات الوجود وتصبح الحدود وتتوالد وتتواتر مع الزمان وتتصل بصراع الفرد مع ذاته ومع محيطه، فيكون الحلم تارة بالخلاص الفردي أو بالخلاص الجماعي طورا حيث تشد الصراعات مع الخارج القضايا ولا تبقى سوى المآزق التي تبدو بلا حلول والآفاق، فإذا التشاؤم اللامحدود والتذمر الذي لا يتوقف.[2]

الأسرة:

يعرفها أوغست كونت AugstCont الأسرة على أنها «الخلية الأولى في جسم المجتمع وهي النقطة التي يبدأ منها التطور، وهي أول وسط طبيعي واجتماعي ينشأ فيه الفرد ويتلقى المكونات الأولى لثقافته ولغته وتراثه الاجتماعي»، وهو تعريف ركز فيه على الأسرة من خلال الوظائف التي تقوم بها دون أن يبين مكوناتها وخصائصها.

«تعتبر الأسرة المجتمع الإنساني الأول الذي يمارس فيه الفرد أولى علاقاته الإنسانية، ولذلك فهي المسئولة في اكتساب الفرد لأنماط السلوك الاجتماعي، وكثير من مظاهر التوافق ترجع إلى نوع العلاقات الإنسانية في الأسرة، ويكسب الفرد من خلال الأسرة القيم والمعتقدات والعادات لذا تأتي الأسرة في مقدمة الأجهزة التي تساهم في تنشئة الفرد»[3].

عندما نتحدث عن الأسرة أو العائلة فإنما نتحدث عن المجال الاجتماعي الذي يتصارع فيه المتفاعلون الاجتماعيون على امتلاك وإعادة توزيع الرأسمال الرمزي فيما بينهم، على نحو

---

[1] سعيد يقطين، قضايا الرواية العربية الجديدة الوجود والحدود، ص: 09.

[2] ينظر المرجع نفسه، ص: 10.

[3] ملاك أحمد الرشيدي، التنشئة الاجتماعية ودورها في الوقاية من تعاطي المخدرات، المؤتمر العلمي الأول لمواجهة الإدمان، المعهد العالمي للخدمة الاجتماعية، القاهرة، 1988، ص: 370.

يمكنهم من إعادة توزيع الأفراد على المراكز الاجتماعية القائمة وإعادة تنظيم الممارسات والأدوار داخلها، كما يمكنهم من انتزاع قدر من السلطة والسيادة والنفوذ من بعضهم البعض في هذا المجال.[1]

إن مفهوم الأسرة يختلف من مجتمع إلى آخر بالإضافة إلا أنها تأخذ أشكالا متعددة، فهي بناء اجتماعي تتدخل فيه ثقافة المجتمع وبذلك «تعتبر الأسرة الإطار العام الذي يحدد تصرفات أفرادها، فهي التي تشكل حياتهم وتضفي عليها خصائصها وصيغتها، فإذا كانت قائمة على أسس دينية واتسم أفرادها بالطابع التقديري، والتعاقدي. والأسرة هي عربة الوعي الاجتماعي والتراث القومي والحضاري، وهي التي تنقل هذا التراث من جيل إلى جيل وهي مصدر العادات والتقاليد والعرف وقواعد السلوك والآداب العامة، وهي دعامة الدين والوصية على طقوسه ووصاياه، ويرجع الفضل إليها في القيام بأمور وظيفية اجتماعية وهي عملية التكلفة الاجتماعية»[2].

وبما أننا تطرقنا في مفهوم الأسرة إلى مصطلح العادات والتقاليد فإننا نسلط الضوء عليها ونقف عند مفهومها.

العادات والتقاليد والمصطلحات والمعتقدات:

«العادات عبارة عن سلوكات معتادة مألوفة موروثة بين الأجيال يقوم بها الإنسان، وبحسبها في الظروف والمناسبات على وتيرة واحدة»[3].

[1] ينظر عبد السلام حيدر، مسارات التحول السوسيولوجي في المغرب، منشورات جريدة الزمن، المغرب، 1999، ص: 92.

[2] مصطفى الخشاب، الاجتماع العائلي، القاهرة، دت، دط، ص: 45.

[3] سامية حسن الساعاتي، السحر والمجتمع (دراسة بصرية وبحث ميداني)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط2، 1983، ص: 155.

أما«التقاليد عادات مقتبسة اقتباسا رأسيا أي من الماضي إلى الحاضر، ثم من الحاضر إلى المستقبل... ويزيد التقاليد قوة، وأن آباءنا يتمسكون بها... ولذلك كان أصعب دور كلفه الأنبياء والرسل تغيير عادات القوم المتوارثة، أي تقاليدهم»[1].

أما المعتقدات هي «الدائرة التي يؤمن بها الشعب فيما يتعلق بالعالم الخارجي والعالم فوق الطبيعي، وتتميز هذه المعتقدات بخصائص مميزة منها: أنها أكثر ميادين التراث الشعبي معرفة بالأفكار والمواقف الإنسانية العامة، كما أنها تهتم بالبحث عن تصورات الناس وبعض الظواهر الطبيعية والنفسية»[2].

البطالة:

تعتبر البطالة من القضايا الوطنية، ومن القضايا ذات الأولوية لأنها تعد مشكلة تؤرق المجتمع نتيجة لاختلال الأوضاع الاقتصادية.

«يقصد بالبطالة أنها حالة عدم توفر عمل لشخص راغب فيه مع قدرته عليه في مهنة تتفق مع استعداداته وقدراته وذلك نظرا لحالة سوق العمل، وتنتج من هذه الحالات الإضراب والمرض والإصابات المختلفة، كما تعرف البطالة بأنها حالة تواجد الأفراد المتعطلين الذين يقدرون على العمل ويرغبون فيه ويبحثون عنه ولا يجدونه»[3].

مما زاد مشكلة البطالة خوصصة المؤسسات والشركات العامة، فلا يوجد بلد يخلو من هذه الظاهرة.

---

[1] عبد الحميد بوسماحة، الموروث الشعبي في رواية عبد الحميد ابن بن دوقة، رسالة ماجستير، معهد اللغة والأدب العربي، جامعة الجزائر، إشراف مصطفى السابق، 1992.

[2] فاروق أحمد مصطفى، الأنتروبولوجيا (دراسة التراث الشعبي دراسة ميدانية)، دار المعرفة الجامعية، 2008، ص: 21.

[3] محمد علاء الدين عبد القادر، البطالة أساليب المواجهة لدعم السلام الاجتماعي والأمن القومي في ظل العولمة، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2003، ص: 10.

«إذا كان وجود عجز في القوى العاملة يشكل مشكلة، فإن وجود فائض يشكل مشكلة أخطر وذلك لأنه لا يتيح الاستفادة المثلى من القوى العاملة ويؤدي إلى ارتفاع تكلفة الإنتاج»[1].

كما تعتبر البطالة من المشاكل الاجتماعية الأكثر تأثيرا على الفرد وسلوكه «غير أن مشكلة البطالة يمكن إخفاؤها من خلال توفير أعمال لا تنطوي على قيمة حقيقية بالنسبة للأداء وداخل القطاعات الصناعية، ويرتبط توافر العمل أساسا بتحفيز الطالب الروعان وتراكم رأس مال، وكلاهما أمر يصعب تحقيقه في البلدان النامية»[2].

الفقر:

حظيت ظاهرة الفقر باهتمام واسع على مختلف المستويات الدولية والجهوية والمحلية وخاصة منذ الخمسينات من هذا القرن عندما بدأ المسؤولون والمخططون يولون الاهتمام بالفروقات الاجتماعية والتفاوتات الاقتصادية المتزايدة في البلدان النامية. جاء في قاموس علم الاجتماع «الفقر هو مستوى معيشي متخصص لا يفي بالاحتياجات الصحية والمعنوية المتصلة بالاحترام الذاتي لفرد أو مجموعة أفراد، وينظر إلى هذا المصطلح نظرة سلبية نظرا لارتباطه بمستوى المعيشة العام في المجتمع، وبتوزيع الثروة ونسق المكانة والترفعات الاجتماعية»[3].

يرى أويس أوسكار الذي ينطلق من منظور وظيفي «بأن الفقر متأصل في بضع فئات المجتمع، فقد توصل من خلال العديد من الدراسات أن الفقراء يصرون فقراء لأن لهم ثقافة خاصة أطلق عليها ثقافة الفقر، ولهم حياة خاصة تختلف عمن سواهم من الفئات الأخرى، ولهم قيم واتجاهات تزيد من الإحساس باليأس وفقدان الأمل، وأن ثقافة الفقر تنمو وتزدهر حتى لو عولجت

[1] محمد علاء الدين عبد القادر، البطالة أساليب المواجهة لدعم السلام الاجتماعي والأمن القومي في ظل العولمة، ص: 02.

[2] عبد السلام رضوان، حاجات الإنسان الأساسية في الوطن العربي، برنامج الأمم المتحدة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1990، ص: 60.

[3] محمد السيد فهمي، أطفال الشوارع، المكتبة الجامعية، الإسكندرية، 2000، ط1، ص: 82.

الأسباب التي أدت إليها، ويظل المنتمون لهذه الثقافة ملتزمين لهذا يؤدي إلى عزلتهم الاجتماعية»[1].

الواقع الاجتماعي في الجزائر:

كان المواطن في ظل الاستقلال والحرية يعيش على فرحة استقلاله بإخراج فرنسا من أرضه، متغنيا ببطولته، في حين كان هناك من يطغى على حياته «وذلك بإشغاله البشع باسم النفوذ والسلطة، يقابل كل ذلك وجه آخر للاستغلال هو الزحف إلى احتلال المراكز والمناصب والمسؤوليات العليا بغير أهمية ولا رصيد، ولاحظ الشعب المجاهد صعود طبقة منه إلى قم الثراء، فقد تم الاستحواذ على أملاك المعمرين والسطو على الأراضي الفلاحية»[2].

إن التجربة الروائية الجزائرية عبر هذه الفترات وهي صورة للحياة وتعبير عنها تخضع لظروف المجتمع التي ظهرت فيه، وما فرضه الاستعمار من قساوة وممارسة جائرة «فأدى هذا الأمر إلى اتساع فجوة التفاوت الاجتماعي بين الفئات والشرائح المختلفة وتزايد درجة الاستقطاب التي تعرفها بنية المجتمع بخاصة بأن هذا التفاوت يفتقد أسسا مشروعة تبرره في ظل غياب نسق قيمي بخطى باتفاق نسبي لدى القوى الاجتماعية»[3].

الواقع المعيشي:

المقصود بالواقع حاضر المجتمع، والوضع المعيش الذي يكتب فيه وعنه الأديب، ولما كان الفن وثيق الصلة بالحياة[4]، فإنه لابد من الانطلاق من البعد الأول وهو البعد الواقعي الصلب والمحسوس والقريب، علما أن تلك الارتباط بالحياة، والانطلاق من الواقع أمر لا يقيد الفنان، وإذا كان الفن عموما وثيق الصلة بالحياة فإن الرواية مرتبطة في ظهورها الفعلي بالالتفاف نحو الواقع

[1] عبد المجيد البصير، موسوعة علم الاجتماع، مفاهيم في السياسة والاقتصاد والثقافة العامة، دار المجد، الجزائر، 2010، ص: 12.

[2] ينظر أبو جرة السلطاني، جذور الصراع في الجزائر، شركة دار الأمة، الجزائر، ط2، 1999، ص: 11.

[3] عنصر حباشي، سوسيولوجيا الديمقراطية والتمرد بالجزائر، دار الأمير للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 1999، ص: 11.

[4] سويف مصطفى، الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة، دار المعارف، مصر، ط4، 1981، ص: 31.

العكوف عليه وهو التفاف فرضته التحديات الحضارية والحركة السياسية والتطورات الإيديولوجية[1] وأثناء طرح علاقة الفن بالواقع، نكون بصدد نظرية الانعكاس التي سبقتها حركة الأدب الطبيعي والواقعي التي ظهرت في القرن التاسع عشر. وكما عالجت الرواية موضوع الثورة، فقد عالجت قضية الصراع العنيف بين الطبقات في مرحلة الاستقلال وعكست وسائل ذلك الصراع مثل استخدام الدّين لتحقيق المصالح، كما صورت التغني بالوطنية والقيام بالتطوع الطلابي. ولعل "محمد مفلاح" رائد من رواد الرواية الجزائرية الذي انطلق من الواقع لمعالجته بعيداً عن التناقضات التي مرّ بها الأدب الجزائري.

أدى هذا التفاوت الطبقي وظهور طبقة فاحشة الثراء إلى انشقاق المجتمع الجزائري وتضخم المشاكل برغم أن الجزائر كانت جديدة عهد الاستقلال والتشييد، وتضخم عنه مظاهر عدة مثل الرشوة، المحسوبية، روح الإكلال والمضاربة، وكلها ممارسات طالت مجالات حساسة في مختلف مؤسسات الدولة «كان الشعب الجزائري بعد الاستقلال في غمرة فرح باسترجاعه لحريته المسلبة، ولكن في جانب آخر هناك فئة استغلت ثرة الشعب وفرصة لتحقيق غايتها المادية وبذل سطوتها في الدولة»[2].

إثر الخلل الذي أصاب القطاع الاجتماعي وترديه «وفشلت المؤسسات الاجتماعية وعجزها عن أداء دورها ووظيفتها بفعالية بما في ذلك الأسرة والمدرسة ومنظومة التكوين والتعليم عموما فضلا عن الجمعيات المهنية والمدنية التي عرفت حالة اضطراب»[3].

صورة المجتمع الجزائري:

إن السرد الروائي لا يعكس الواقع الاجتماعي والثقافي والسياسي بمجتمع من المجتمعات بقدر ما يصنعه، فالأعمال الأدبية هي صورة تمثيلية لهذا المجتمع، ويكمن ذلك في الاهتمام بمعالجة مختلف قضاياه، ولا تكون هاته الصورة مجرد تصوير جامد يجمع الحقائق والمعلومات، بل هو طول

[1] شكري عزيز الماضي، في نظرية الأدب، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 1986، ص: 85.

[2] محمد ساري، محنة الكتابة، دراسات نقدية، منشورات البرزخ، الجزائر، دط، ماي 2007، ص: 51.

[3] عنصر حباشي، سوسيولوجيا الديمقراطية والتمرد بالجزائر، ص: 13.

يتم على الإبداع بواسطة اللغة والأسلوب، فاللغة هي من تصنع تلك الجمالية في نقل وتصوير مختلف القضايا الأساسية المجتمعية.[1]

فالرواية الجزائرية عبرت وبعمق عن واقعنا، وبالأحرى عبرت عن مجتمعنا وقضاياه المختلفة، فهي منذ نشأتها إلى تطورها عايشت الواقع المجتمعي بكل تطوراته وتغيراته، والروائي من خلال ذلك لم يكن «دوره تغيير الواقع... بل يكمن دوره في التعبير عن هذا الواقع... ونقد بصرة تمثيلية عنه بمكنها أن نصوغ قضاياه...»[2].

وبالنظر إلى التغيرات التي مر بها المجتمع الجزائري من الثورة إلى الاستقلال ما نتج ذلك من تحولات في جميع الأصعدة، فهاته التحولات كانت بمثابة بؤر هامة في تاريخ الجزائر، فعالجت الرواية كل هذه التغيرات وكل هذه القضايا، وبرز ذلك جليا خاصة في فترة السبعينات، وما كانت عليه البلاد من تغير جذري من جميع الميادين، فظهرت التأميمات، الثورة الزراعية، الإقطاعية، الإيديولوجيا... لتأتي بعدها مرحلة الثمانينات متميزة بذلك الوعي المنبعث بين ثنايا النصوص الروائية المعبرة عن الرفض «وتبلور خطاب روائي جديد، خرج من كل الأوهام السابقة وصار يعبر عن نفسه بكل حرية وصدق ولكشف هشاشة الفرد في هذا المجتمع»[3]، وحمل الخطاب الروائي ذلك النضج المتميز لمواكبة كل مرحلة من مراحل تغيره أو تحوله، تميز هذا المجتمع الذي اكتسى بحلته، ودخل ذلك الخطاب الروائي مرحلة التجريب من بابها الواسع مجسدا من قضايا المجتمع أهم موضوعاته التجريبية.

يعرف المجتمع الجزائري كغيره من المجتمعات الإنسانية تفجير العزلة من التحولات الاجتماعية، والظواهر والسلوكيات، وذلك بالتعبير عن الواقع الاجتماعي بكافة جوانبه، هذا الأخير أدى إلى طرح هام من التساؤلات نتيجة تلك التحولات، وبفعل تأثير إنهاء آثارها من قبل النخب الثقافية والاجتماعية الفاعلة على الطرح للشأن الهام بهذا يهدف التحليل أو التفسير والنقد

[1] ينظر صالح بشرى موسى، الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1994، ص: 75.
[2] تيسير مفتي، مقالة أزمة تمثيل المجتمع في الرواية الجزائرية الجمهورية يوم 2016/04/11، دص.
[3] المرجع نفسه، دص.

أحيانا وما يفرض على مجتمعنا من تحديات ورهانات وتموقعات سياسية وإيديولوجية، وهو ما شهده على مر العصور فنصبح أمام عدد لا يستهان به من الظواهر الاجتماعية والمشكلات المختلفة.[1]

[1] ينظر تيسير مفتي، مقالة أزمة تمثيل المجتمع في الرواية الجزائرية الجمهورية يوم 2016/04/11، دص.

الفصل الأول:

صور التواصل الاجتماعي في روايات محمد مفلاح والعلاقات الاجتماعية الأسرية

- إشاعة روح الألفة.
- الرغبة في التواصل مع الغير.
- الروابط الأسرية (صلة الرحم، التهاني...).
- الزواج.
- العزاء والتأبين.
- تمكين المرأة من المشاركة في المجتمع.
- العدالة.
- استخدام العامي في الحياة الاجتماعية.
- الحوار
- تجاوز الذاتية والنرجسية
- الحرية

تمهيـــد:

مارس العربي السرد كما مارس اللغة، مارس العربي اللغة للتعبير عن أحواله والتواصل مع غيره، كما مارس السرد للإخبار عما وقع له أو انتهى إلى سمعه مما وقع لغيره، تطورت العربية كثيرا وتطور السرد كذلك مع الزمان، وظهرت فيه أنواع وأنماط كما اختفت أخريات، وفي كل حقبة زمانية تظهر أنواع وأساليب تستجيب لحاجات التحول التي عرفها العربي في تاريخه الطويل.[1]

إشاعة روح الألفة:

ظهرت الرواية العربية نوعا سرديا جديداً في العصر الحديث، عن طريق التطور الذي نجم عن طريق ظهور وسائل تكنولوجية جديدة أدت إلى بروز وسائط جديدة في الإبداع والتواصل والتلقي، والتي ستتطور مع الزمن حاملة اسم الوسائط[2]. والتي أدت بالرواية العربية إلى التطور فلقد كانت الكتابة الروائية العربية وبالأخص الجزائرية تواجه قلقا والتباسا لا فقط على مستوى المسرود أو الحكاية وبما هي حكاية المعيش في الواقع.[3] لذلك أخذت الرواية الجزائرية شكلا يميزها عن باقي الروايات العربية، فالظواهر أو الظاهرة التي شاعت وامتاز بها هي الدين الإسلامي، حيث نجد إشاعة روح الألفة والتي برزت بوضوح في الرواية الجزائرية وهي أن يعيش الناس بعضهم مع بعض في حالة تعاضد وترابط بين الفرد والجماعة وبين كل إنسان مع أخيه الإنسان، بحيث يرق غنيهم لفقيرهم، ويرحم كبيرهم صغيرهم، ويحترم صغيرهم كبيرهم، ويعول صحيحهم مريضهم، ويسد شبعنهم حاجة جائعهم، وأن يهدي الرشيد الضال ويوقر الجاهل العالم، ويعلم العالم الجاهل، وأن تنظم أمور حياتهم وأموالهم فتوجه إلى ما فيه خيرهم... وبعبارة أخرى، أن يصير الفرد في كفالة مجتمعه فيقوم له المجتمع بما يلزم عند اقتضاء الحال ذلك، وأن يقدم كل فرد قادر ولو عن طريق الجاه والسلطان ما يمد المجتمع بالخير ويحفظ كيانه ويعلي بنيانه ويرفع شأنه، وبذلك تصبح كل

---

[1] سعيد يقطين، قضايا الرواية العربية الجديدة الوجود والحدود، ص: 25.

[2] المرجع نفسه، ص: 34.

[3] يمنى العيد، الرواية العربية المتخيل وبنية الفنية، دار الفرابي، بيروت، ط1، 2011، ص: 09.

القوى الإنسانية في المجتمع متلاقية متضامنة في المحافظة على مصالح الفرد، وعلى دفع الأذى والضرر عنه وفي المحافظة على بناء المجتمع وإقامته على أسس قوية ومبادئ سليمة.[1]

فإنها تمثل خلق إسلامي يوقظ القلوب ويحركها نحو العطف والشفقة على بني الإنسان مع بعض ويوفق بين مصالحهم ويكمل تقديرهم وتعاونهم على مرافق الحياة ويساعد على الصدق في تبادل المنافع، ويشعر كلا المتوادين بأن مصلحته مرتبطة بمصلحة أخيه فيسعى ويحرص عليها كما لو كانت مصلحة نفسه الخاصة، وبذلك يقوم بدوره في تصفية جو الحياة وإشاعة الحب والألفة بين الناس ويساهم في بناء السلام طمعا في السلام من رب السلام الراحمون يرحمهم الله لقوله صلى الله عليه وسلم: «الراحمون يرحمهم الرحمان ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»[2]، لذلك اعتبر الرحمة أساس العلاقات الإنسانية كلها، فالمودة الإنسانية قانون شامل لكل العلاقات الإنسانية حيث أنها العملة التي تربط كل من في هذه الأرض من بني الإنسان سواء أكانوا متصلين بالشخص بمقتضى روابط الأسرة أم كانوا متصلين به بحكم الجوار، أم كان اللقاء في المجتمع الصغير أو الكبير أو في المجتمع الإنساني العام[3]. وهذا ما تشبعت به روايات محمد مفلاح مثل: رواية شبح الكليدوني إذ يقول: «ولو كان عبد الحليم الوقادي حيا لطلب منه النصيحة، كان صديقه مثقفا مخلصا محبا للفكر والاجتهاد والإبداع، كان ثقته فيه كبيره، اغتيل العقل المستنير الذي كان يسترشد به، الآخرون لا تربطه بهم أية صلة عميقة، رغم علاقته الحميمية بجيرانه الطيبين الذين يحترمونه بسبب خجله المرضي»[4]، لقد انتهت المأساة الدامية وأعتقد أنه من واجب كل مواطن أن يعمل على إشاعة قيم الأخوة والوئام بين كل الناس.[5]

---

[1] عبد العال أحمد عبد العال، التكافل الاجتماعي في الإسلام، جامعة الأزهر، جامعة أم القرى، جامعة قاريونس، الناشر الشركة العربية للنشر والتوزيع، ص: 13.

[2] رواه الترميذي، أبو داود والحاكم وأحمد.

[3] عبد العال أحمد عبد العال، التكافل الاجتماعي في الإسلام، ص: 63.

[4] محمد مفلاح، شبح الكليدوني رواية، ط1، 2015، دار المنتهى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ص: 16.

[5] محمد مفلاح، انكسار رواية، دار طليطلة، 1430هـ-2010م، ص: 59.

الرغبة في التواصل مع الغير:

ليس هناك شك بأن إرث العربي وعاداته وتقاليده التي يتمسك بها تمثل جزء مهم منها صوراً للتواصل الاجتماعي وهذا لا يعني أن كل عادات العرب تقع في هذا الإطار وإنما هي تشغل حيز واضح فيها.

فالرغبة في التواصل مع الغير مبدأ إنساني، فالإنسان بطبعه اجتماعي، لا يمكنه العيش بمنعزل عن الغير، لذا لا ينحصر مفهوم التواصل الاجتماعي عند العرب بالصلة إن صح التعبير وإنما هناك صفات وشمائل اتصف بها بعض الأسر التي كانت أداة لهذا التواصل الذي أصبح من أثرها تحصيل حاصل وعلى ما يبدو فإن في ذلك عدة أوصاف حتى إنه قيل أن السخي سمي (الظريف) عند العرب لأنه الرجل الكريم، فقد ارتبط بالجانب المعنوي الكثير من الصفات الدالة على التواصل ومنها (المواساة)، ولعلها عند العربي تختلف في صيغتها عن غيره، وكذلك الحال ينطبق على النصيحة باعتبارها أداة أخرى للتواصل مع الآخرين عند العرب، ويبدوا أنها من أكثر الصفات تعبيرا في المقام لأنها أساس الخير للغير وإرشاده.[1]

وهذا ما نلمسه في روايات محمد مفلاح، منها رواية (سفر السالكين)، إذ يقول: «في اليوم التالي، زارني أصدقائي الطيبون: يصافي المايدي، وهواري البني، ورابح اللمة، وهم يحملون أكياسا بلاستيكية مملوءة بالفواكه والمياه المعدنية. لما شكرتهم وعبرت لهم عن سعادتي برؤيتهم، استغل هواري البني الفرصة فقال لي وهو يحرك ذراعه اليمنى نحو صدره: لا تنس سيارتي المتواضعة التي تحشمت كل المتاعب لتنقل هؤلاء المرضى».[2]

رام الإسلام أن يصير بالناس إلى أن يكونوا أمة واحدة كما أنشأهم الله تعالى فكان ذلك شهادة له بأنه دين الفطرة وأنه الراجع بالناس إلى أصل فطرتهم ووحدتهم، وأنه هو الدين الذي أراده الله تعالى وهيأ الناس بإرسال الرسل وجعل الناس أمماً لتسهيل تلقينهم حتى إذا تهيئوا وأنادي

---

[1] الأستاذ المساعد الدكتور حميد سراج جابر، مفهوم التواصل الاجتماعي عند العرب، مجلة أبحاث البصرة، جامعة البصرة، الكلية العربية للعلوم الإنسانية، المجلد 39، العدد 01، السنة 2014، ص: 74-75.

[2] محمد مفلاح، سفر السالكين، دار الكوثر للنشر والتوزيع، ط1، 2014، ص: 92.

فيهم بالاجتماع تحت لواء دين واحد[1]، لقوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[2]، فنجد محمد مفلاح يصف لنا الجزائر بصفته إنسان اجتماعي يحب العيش مع الغير، فالشعب الجزائري من أكثر الشعوب اتصالا مع الغير.

الروابط الأسرية:

يعيش أفراد المجتمع الواحد في تفاعل دائم يبنون حياتهم وفق عديد من العلاقات الاجتماعية والأسرية وأهم العلاقات التي تربط أفراد الأسرة الواحدة الحب المتبادل بين الزوجين وبين الأقارب.

إن السلوك والمعاملات لأفراد الأسرة الواحدة،ومدى التحلي بالفضيلة والرذيلة هي التي تحدد القيم الأخلاقية والسلوكية، فبعد الزواج الذي هو أساس الأسرة ويكون لأجل التناسل والتكاثر تأتي تربية الأبناء على الأخلاق الفاضلة والصفات الحميدة منذ الصغر، وهذا ما يلاحظ على المجتمع الجزائري، فلكل فرد في الأسرة حقوق يحظى بها وواجبات يقوم بها من أجل أسرة تسود المودة والرحمة بين أفرادها.

فالذي يحكم الأسرة ويوطد أركانها ويدعم بنيانها هو رباط المودة المنبعثة من أعماق الزوجين، لذا قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾[3]،وإنها لمودة عميقة شاملة تجعل الزوجين قلبا واحدا وشخصا واحدا قد يغشى

[1] فضيلة العلامة سماحة الأستاذ الإمام محمد الطاهر ابن عاشور، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، ط2، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص: 109.

[2] سورة البقرة، الآية 212-213.

[3] سورة الروم، الآية 21.

كل منهما الآخر، قال تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾[1]، وإذا لم تسد المودة بين الأسرة تقطعت أوصالها، وإذا عدمت المودة بين الزوجين كان الواجب إنهاء العلاقة الزوجية إن لم يكن فيه سبيل إلى إعادة المودة والرحمة بينهما، وأن أقوى الروابط تأثيرا على الأقارب بعضهم من بعض هو الود والتراحم بينهم قياما بحق الرحم وصلة الدم التي عنى بها القرآن العظيم والرسول الكريم على وجه أخص، فقال تعالى: ﴿وَأُولُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾[2]، وقال صلى الله عليه وسلم: «يا أيها الناس: أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصِلُوا الأرحام، وصلّوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام»[3].

فالإخوة والأخوات وأولادهم والأعمام والعمات وأولادهم والأخوال والخالات وأولادهم أسرة واحدة وأصابع متعددة في يد واحدة لابد أن تؤلف بينهم رابطة الرد والتناصر والتعاطف لاسيما وقد جعل النبي عليه الصلاة والسلام هذا العمل طريق إلى سعر الرزق والبركة في العمر[4].

وهذا ما ظهر في رواية محمد مفلاح في رواية سفر السالكين، إذ يقول: «ابنتي ريحانة ساندة والدها في عينها العسليتين»[5]، وفي رواية انكسار: «...وبعد عشر دقائق وصل شقة والديه المعروفة بدار الكرمة والتي ظلت تسكنها أمه مع أخته»[6]، فقد عرفت الرواية الجزائرية بوصفها لمظاهر الأخوة والمحبة بين الأسر الجزائرية من أجل تحقيق مجتمع متماسك.

الزواج:

من المعلوم أن المجتمعات الإنسانية القديمة شهدت أنماطا عديدة من بينها الزواج، فقد كانت الأسرة الجزائرية قبل الاستقلال أسرة أبوية ممتدة متماسكة من جميع الجوانب الاقتصادية،

---

[1] سورة البقرة، الآية 187.

[2] سورة الأنفال، الآية 70.

[3] رواه الترميذي.

[4] عبد العال أحمد عبد العال، التكافل الاجتماعي في الإسلام، ص: 63-64.

[5] محمد مفلاح، سفر السالكين، ص: 09.

[6] محمد مفلاح، انكسار، ص: 23-24.

الاجتماعية، والدينية تنقل الأفكار لأبنائها من خلال التنشئة الاجتماعية، فهذه العملية تعد الناقلة للقوانين والعادات والأحكام القديمة الخاصة بها.

يتطلب وجود فردين (الزوج والزوجة) يعيشان معا فإنه لابد ولو في فترة معينة من الحياة الزوجية لينشأ بينها أبناء، فهذا المكون من الروابط الأساسية لزواج صالح لتتماشى مع مبادئ وأهداف المجتمع، لأن وظيفته التنشئة الاجتماعية من أهم الوظائف قديما وحديثا، ومنه يتكون لديه الشعور بالمسؤولية نحو أسرته ومجتمعه، وغرس الضبط الداخلي للسلوك وتحقيق النضج الاجتماعي والنفسي، من خلال مختلف أنشطتها تعمل الأسرة على نقل الثقافة من جيل إلى آخر عن طريق التربية وتهذيب السلوك ومحاولة تكثيفه مع القواعد المجتمعية، كما أنها تعبر عن الوحدة الاقتصادية الأساسية لأنه العامل الرئيسي للأفراد، فمن الواضح أن الهدف منه هو تنشئة صالحة، فالزواج ليس مجرد علاقة فقط بل هو رابطة إنسانية جوهرية مطلوبة اجتماعيا وشرعيا مصداقا لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[1].

لأن الهدف منها استمرار الجنس البشري وبناء الوحدة الاجتماعية عن طريق الإنجاب ورعاية الأطفال وتنشئتهم تنشئة صالحة، على أن الأسرة الجزائرية لا تبتعد عن هذا المفهوم إذ هي الحقيقة الأولى لبناء مجتمع جزائري متماسك وصالح.

فالزواج لغة هو اقتران الزوج بالزوجة أو الذكر بالأنثى، اصطلاحا: عقد يفيد كل استمتاع من الزوجين بالآخر على الوجه المشروع.[2]

[1] سورة النساء، الآية 01.

[2] عبد المجيد عبد الرحيم، علم الاجتماع الحضري، المكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1976، ص: 09.

فمحمد مفلاح استطاع الخوض في مجال الحياة الجزائرية والتي منبعها الرئيسي ومبدأ الأول هو الزواج في قوله في رواية شبح الكليدوني «تمنت أن يتزوج ولدها بالمعلمة زولة التي تجاوزت سنها الثلاثين كانت شابة نحيلة سمراء ذات جمال هادئ»[1].

إن الزواج نظام عالمي عرفته المجتمعات البشرية منذ أقدم العصور، لأنه يعدّ ضرورة بيولوجية واجتماعية ضابطة للغريزة الإنسانية الجنسية ومن ثم تأمين استقرار الحياة والتواصل البشري، فهو بمثابة خطوة شرعية لتكوين نظام اجتماعي هام ضمن النظم الاجتماعية الأخرى، وعملية الزواج لا تتم بصفة اعتباطية أو عشوائية بل ترتبط بعدة عوامل يؤثر فيها باعتبارها سلوكاً اجتماعيا لا يتحدد فقط برغبات الشخص المؤهل له، وإن المتأمل في الواقع الجزائري يجد أنه رغم تدخل الدولة الجزائرية لوضع صورة جديدة للأسرة ورغم مختلف التغيرات التي شهدها المجتمع الجزائري، إلا أن مفهم الأسرة التقليدي مازال نموذجاً مرجعيا انتمائيا للأفراد، ورغم مساهمة المؤسسات المجتمعية الأخرى في القيام بالوظائف التي كانت تقوم بها الأسرة التقليدية، فإنه لم يتم القضاء على هذه الظاهرة (الزواج القرابي) جذريا بل لا تزال قائمة في مجتمعنا على الرغم من تحذير الوسائل الإعلامية بخطورة الارتباط الذي يكون نتيجته إنجاب أطفال يعانون من أمراض وراثية، وما يؤكد ذلك هو استمرار إقبال الأفراد على الزواج القرابي في الوسط الحضري، ويعود الإقبال الكبير للمجتمعات العربية الإسلامية على مثل هذا الزواج كونه يخدم المصالح العائلية بهدف تقوية روابط القرابة ويعمل على تماسكها ويمنع تشتيت ثروتها، وغالبا ما يكون سبباً في قلة تكاليف الزواج.[2]

[1] محمد مفلاح، شبح الكليدوني، ص: 35.

[2] إدوارد وسترمارك، قصة زواج، ترجمة عبد المنعم زيادي، مكتبة النهضة، مصر، دط، ص: 80-81.

العزاء والتأبين:

اتصلت ظاهرة التأبين في الموروث العربي بفن الرثاء وارتبطت به وكانت شعراً ونثراً، وغلب عليها النثر.

فالعزاء هو الصبر على كل ما فقدت ويقال: إنه لعزي صبور إذا كان حسن العزاء على المصائب، ويقال: عزيت فلاناً أعزيه تعزية، أي أسيته وضربت له الأسي وأمرته أن يصبر. وتعازي القوم عزّي بعضهم بعضا، والعزاء والعزوة اسم لدعوى المستغيث وهو أن يقال بالفلان قال الراعي النميري:

فَلَمَّا الْتَقَتْ فُرْسَانُنا وَرِجَالُهُم دَعَوا يَا لِكَعْب وَاعْتَزَيْنا لِعَامر[1]

فالعزاء إذ هو الصبر وينحصر غالبا في الموت، فهو يحمل معنى التجلد على المصائب والناس بما ينفكون من المصائب، ومن لم يعدم نفيساً كان هو المعدوم دون النفيس وحق الإنسان الصبر على النوائب إذ كانت لدينا دار فراق بوار، إنما يتفاضل الناس بصحة الفكر وحسن العزاء[2]، فإن معنى العزاء يحمل في مضمونه دعوة لنا على أن نقبل بالحياة كما هي، فأي إنسان إنما يؤدي دوراً فيها ويرحل، فإذا كنا اليوم نبكي على من فقدناه فغدا سيبكي الآخرون علينا، فالأيام لا تقف دورتها عند أحد، والإنسان عاجز أمام قوى التكبير والتبجيل هذه، وكيف سيحمل على خشبة تؤدي إلى مقره الأخير.

ففي المجتمع الجزائري نجد ظاهرة العزاء بكثرة وذلك نتيجة الأحداث التي مرّ بها الشعب الجزائري، فالكثير من الأدباء والمفكرين تأثروا بظاهرة العزاء منهم الراوي محمد مفلاح إذ يقول في رواية انكسار: «عظم الله أجركم... لقد توفيت خالتك بسكتة قلبية

-يا رب الرحمة... أنا عبدك الضعيف

-كل نفس ذائقة الموت

---

[1] عبد الرشيد عبد العزيز سالم، شعر الرثاء العربي واستنهاض العزائم واللسان، ج 15، ص: 53، ومعجم مقاييس اللغة، ج4، ص: 209.

[2] المبرد: الكامل، ج2، ص: 313.

-مصيبة عظيمة يا عابد. تلفنت لي المرحومة منذ دقائق فقط

-تشجع يا سي عباس... نحن في انتظارك

-أرجع عباس الهاتف إلى جيبه ووضع رأسه بين يديه ثم همس بصوت مخنوق: الله يرحمك يا الحاجة زينب

هيج الخبر المفجر مواجع قلبه المتعب فانفجر باكيا. إنها المرة الأولى التي يبكي فيها بحرقة أمام كل الناس»[1].

أما التأبين فمن أبرز القيم التي ارتبطت في معانيه المختلفة المرتبطة بالفجيعة والحسرة والألم والمصيبة.

فالتأبين لغة من أتبن الرجل تأبينا بمعنى مدحه بعد موته وبكاه، وقال ثعلب: إذا ذكرته بعد موته بخير، وقال شمر: التأبين هو الثناء على الرجل في الموت والحياة، وقال ابن سيدة: وقد جاء الشعر مدحا للحي، وقيل لمادح الميت مؤبن لإتباع أثار فعالة وضائعة.[2]كما أن التأبين هو الثناء على الشخص بعد موته واقتضاء أثر الشيء.[3] فالتأبين هو الثناء على الميت وتعداد صفاته وبكاؤه بعبارات حزينة «سمعنا صراخا وبكاء... ارتديت معطفي الأزرق وخرجت بسرعة توجهت نحو ساحة القرية ثم جريت خلف المهداوي الذي أشار إلي أن أسرع نحو حي جهة الوادي. كانت النيران تلتهم كوخا... وجدت سعدية تندب خديها وهي تدور حول نفسها. كانت رحمة تجري بدلو ثم ترمي الماء على النيران... وكان الفرطاس يلقي التراب بالرفش على النيران...»[4].

فالتأبين ليس عام وإنما خاص ومحدود، كما يتم التأبين في ذكرى الأربعين للمتوفي، وفي حالات خاصة في الذكرى السنوية للمتوفي، ويوجد معنى التفجع في مصطلح التأبين، ولكن ربطناهما لتوضيح المصطلح أكثر مما لو كان منفصلا عن كلمة التفجع التي تعني الحسرة والألم

[1] محمد مفلاح، انكسار، ص: 111-112.

[2] اللسان ومقاييس اللغة والقاموس المحيط، مادة: أ، ب، ن، ص: 03.

[3] قاموس المحيط، ج4، ص: 196.

[4] محمد مفلاح، الأعمال غير الكاملة، روايات، دار الحكمة، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007، ص: 427.

والمصيبة، ومنه فإن التأبين هو الثناء على الشخص بعد موته واقتضاء أثر الشيء، ويقال هو يقرض الأحياء ويؤبن الأموات والألف والياء والنون يدل على الذكر.[1] ويمثل أيضا تعداد صفات الميت وبكاؤه في الشعر بعبارات حزينة، من هنا نرى أن المدح ثناء للحي أما التأبين فهو ثناء للميت.

تمكين المرأة من المشاركة في المجتمع:

إن حديثنا عن المرأة في تاريخها الطويل والمتنوع، وتطرقنا إلى أوضاع المرأة العربية بصفة عامة لن يغنينا عن التطرق لوضع المرأة في الجزائر.

عنى الإسلام بالمرأة عناية فائقة، حيث أحلها المنزلة والمكانة الرفيعة التي تستحق أن تتبوأها، وقرر لها من الحقوق المادية والمعنوية ما يكفل لها حياة كريمة في جميع أطوار حياتها المختلفة، من ساعة ولادتها إلى ساعة توديعها الحياة الدنيا.

ونتيجة للجهل الذي أطبق على الأمة الإسلامية في عصور الضعف، وما ترتب عليه من تخلف وجمود، وقصور في فهم الدين الإسلامي الفهم الواعي الصحيح، تراجعت مكانة المرأة في المجتمعات الإسلامية، وحل محل ذلك التكريم –الذي أولاها إياه الإسلام– قدر كبير من الظلم والهوان، وما إن دوت الصيحات في أرجاء العالم الإسلامي في العصر الحديث مناديه بتحرير المرأة والدعوة إلى تعليمها، وخروجها إلى ساحات العمل وميادينه، ومشاركتها في شؤون الحياة المختلفة، حتى تلقفها العلماء والمفكرون والأدباء بين مؤيد ومعارض، ومنهم من وقف منها موقفا وسطا، فأقر منها ما أقره الإسلام لها ورفض منها ما رفضه.[2]

يعني مجتمعنا الجزائري كبقية المجتمعات العربية الأخرى عدة مشاكل اجتماعية، وتعترض سبيل تقدمه جملة من عوارض التخلف، ومظاهر الظلم والحيف، ومن جملة المشاكل المطروحة

[1] معجم مقاييس اللغة، ج1، ص: 43.

[2] سيد مفرح إدريس أحمد، الشعر الاجتماعي في المملكة العربية السعودية منذ نشأتها حتى عام 1395هـ، دراسة تحليلية، ط1، دار العلم بجدة، المدينة المنورة، 1423هـ-2002م، ص: 85.

قضية المرأة، هذه القضية القديمة المتجددة إنها قضية «ملحة ومفتوحة»[1] كثيرا ما تثار بصورة تصل أحيانا حد التناقض، فبينما ترى بعض الآراء ضرورة التزام المرأة بالبيت وليس الحجاب، ترتفع أصوات أخرى لتمزيق ذلك الرداء الأسود، والانطلاق إلى العمل والمشاركة في الحياة جنبا إلى جنب مع شقيقها الرجل، وبين هذين النقيضين ترتفع أصوات وسطية تدعو إلى إتباع منهج وسط بين الانغلاق والتحرر، ولمختلف هذه الآراء والأفكار حججها وأدلتها، وأرضيتها الثقافية وخلفيتها التاريخية.[2]

فالمرأة في الرواية تحتل نصيبا أوفى وأفر، وكذا الشأن في الدراسات الأدبية والاجتماعية، ومع كثرة الدراسات المقدمة عن المرأة سلبا وإيجابا فإن تلك الدراسات والبحوث الاجتماعية تجري في أماكن أخرى بحيث تكاد تقتصر تلك الأبحاث حول النساء في المدن.

فالمرأة الجزائرية ومن خلال حديثنا عن المرأة في تاريخها الطويل والمتنوع وتطرقنا إلى أوضاع المرأة العربية بصورة عامة لن يغنينا عن التطرق لوضع المرأة في الجزائر، ذلك لكل قطر عربي ظروفه ومتغيراته التي أساسها ترسم العلاقات بين الأفراد.[3]

«فهي فتاة مهذبة وهادئة...»[4]، «ترفض أن تكون مجرد امرأة... ترفض أن يكون لها أبناء أذلاء يمنحون جهدهم للمعرين والقياد وجيش فرنسا»[5].

«أصبحت المرأة رفيقتي في كل مكان أخفيها بين نهدي... على صفحتها الصافية لاحظت اتساع عيني السوداوين... ولم أر فيها أي بريق مخيف، صارت خيرة قدوني أحببت أن أكون مثلها... جريئة وصريحة ولم أستطع»[6].

---

[1] لجنة التحرير (المؤنث والمذكر بين الحقوق والعلاقة الإشكالية)، مجلة مواقف، مجلة فصلية تصدر عن الساقي، بيروت، ع73 و74، شتاء 94، ص: 08.

[2] مفقودة صالح، المرأة في الرواية الجزائرية، جامعة محمد خيضر بسكرة، ط2، 2009، ص: 09.

[3] المرجع نفسه، ص: 17.

[4] محمد مفلاح، انكسار، ص: 53.

[5] محمد مفلاح، خيرة والجبال، رواية، ص: 437.

[6] المصدر نفسه، ص: 478.

لذلك فإن الرواية الجزائرية مرتبطة في نشأتها وتطورها بمعالجة القضايا الاجتماعية وفي مقدمتها المرأة وحريتها، فقد وجدنا رواية (خيرة والجبال) والتي تناولت هذا الموضوع، والذي تناول المرأة بصفة خاصة والتي تمثل الواقع المعيشي الذي مرّت به الجزائر، فالمرأة هي نصف المجتمع، ومع الرجل تشكل المجتمع بأكمله، ومع أن المرأة في المجتمع الجزائري نالت قسطا أوسع من التعليم والحرية الاجتماعية في ظل النهضة التي شهدتها البلاد، إلا أن المرأة لازالت تعاني من هموم اجتماعية قد تحد من فاعليتها ومدى عملها داخل المجتمع، ومن هذه الهموم التي تعاني منها المرأة: تزويجها حسب العادات العشائرية القديمة «ولكن هذا الزواج كان سيفا مسلطا على رقبة خيرة»[1]، لذلك فإن المرأة عاشت حياة سخط إلا أن جاء الإسلام تراجعت مكانة المرأة في المجتمعات الإسلامية، وحل محل ذلك التكريم بعد أن كانت تدفن وهي على قيد الحياة.

العدالة:

إن جماع مكارم الأخلاق منحصر فيما جابه القرآن وما بينته السنة من واجبات وآداب وطرائق تعليمها وتنفيذها، وهو مبنى قول عائشة رضي الله عنها لما سئلت عن خلق النبي صلى الله عليه وسلم: «كان خلقه القرآن»[2]، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[3]، فالعدالة ملكة تضع من قامت به من اقتراف الكبائر، وإن كمال العدالة بالمروءة وهي استيفاء خصال الرجولية الكاملة وأحسن تفسير لها أن لا تفعل في سرك ما تستحي أن تفعله جهرا، وفسرها الفقهاء بأنها تجنب فعل ما في فعله خسة تغض من فاعله وتذمه عند الناس،[4] لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾[5]، يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾[5]، مؤكد هذا الخبر التشريعي بحرف "إن" ومفتتحا باسم الجلالة الذي يلقى الحرمة على هذا الخبر ويقوي دواعي الأمة لتلقيه والعمل به، ومخبرا عن الاسم بالجملة الفعلية المفيدة تجدد

---

[1] محمد مفلاح، خيرة والجبال، رواية، ص: 443.

[2] رواه مسلم.

[3] سورة القلم، الآية 04.

[4] محمد الطاهر ابن عاشور، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، ص: 132.

[5] سورة النحل، الآية 90.

المر وتكرره، ونظيره في هذا المعنى وفي خصوصياته قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾[1]وحسبنا أيضا اتفاق البشر كلهم في جميع الأعصار على مدح العدل وتمجيده والمطالبة بنشره على الأجيال وإن اختلفوا في جزيئاته وعند تطبيقه.

والعدل لما توطأت على حسنه الشرائع الإلهية والعقول الحكيمة، وتمدح بادعاء القيام به عظماء الأمم وسجلوا تمدحهم على نقوش الهياكل كل من كلدانية ومصرية وهندية، فحسن العدل مستقر في الفطرة فإن كل نفس تنشرح لمظاهر العدل ما كانت النفوس بمعزل عن هوى يغلب عليها قضية خاصة أو في مبدأ خاص تنتفع فيه بما يخالف العدل بدافع إحدى القوتين الشاهية والغاضبة، لذلك أمر الله عز وجل بإقامة العدل أمرا عزما بما كرر في كتابه من الآيات الآمرة بإقامة العدل المحذرة من مخالفته[2]، لذلك أخذت الأمة الجزائرية هذا المبدأ واعتبروه عنصر أساسي لكي تسود المساواة بين أفراد الأسر، فمحمد مفلاح نجده قد عبّر عن العدالة من خلال كتاباته الروائية، لأن ماهية العدل أنه تمكين صاحب الحق بحقه بيده أو يد نائبه، وتعيينه له قولا أو فعلا، فالعدل يظهر في القضاء بين الناس في منازعاتهم وفي فرض الواجبات والتكاليف عليهم، لذا نجد محمد مفلاح بقوله: «خاف العامري ولجأ إلى تسوية الخلاف بالتي هي أحسن»[3].

في المجتمع الجزائري مثلت العدالة نقطة تحول في المسار الاجتماعي والفكري، فهي تمثل عقدا ماديا وروحيا يربط المجتمع والأمة والإنسان ببعضها البعض.

ولذلك فإن كل حامل يؤثر على هذا البناء وصنع منه توجيها جديدا منفصلا عما أريد له، ويكمن الخلل في العدالة بتطلق مما تحدث عنه "بول ريكور" عن السلطة السياسية حينما يقول: «تخلق الثقافات نفسها برواية القصص عن ماضيها ويكمن الخطر بالطبع أن هذا التوكيد الجديد قد تحرفه في العادة النخب التي تحتكر السلطة، إلى خطاب تمويهي يهدف إلى الدفاع غير

[1] سورة النساء، الآية 58.

[2] محمد الطاهر ابن عاشور، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، ص: 185-186.

[3] محمد مفلاح، الأعمال غير الكاملة، ص: 373.

النقدي... من السلطات السياسية الراسخة، وفي هذه الحالات تتحجر رموز الجماعة... أي تتحول إلى أكاذيب»[1]، وهذا الكلام يعتبر تبريرا للعدالة وتوضيحا لدورها في الممارسة النقدية للسلطة رغم كل الأساليب التي ترشد السلطة الحاكمة غير أنه يأتي دور العدالة لتكون الفيصل والمراقب الموجه لكل انحراف.

ويتجه "محمد مفلاح" إلى السياسة للتعبير عن غياب العدالة الاجتماعية ولسيطرة الفساد في رواية (سقاية الموسم) فيقول على لسان النقابي "نذار السقاية" «لا خير في ديمقراطية لا تخلص الشعب من المشاكل التي يتخبط فيها»[2]، وهذه السياسة لا تقوم إلا بفعل العدالة، «والديمقراطية هي تصور خاص للعدالة فيصير الفرد حر في آرائه بحكم العدالة قائمة على المساواة، وفي الأصل لا تحتاج إلى إثبات موجباتها، ولا يحول دون إجرائها إلا وجود مانع معلل بعلة تقتضي إلغاء المساواة»[3]، فالمساواة بين الناس تكون بين الناس في الحقوق والآراء والمواقف، ولكن كل هذا لم يحدث فالسياسي قد هيمن على كل القرارات والمسائل ونصب نفسه وصيا على الجميع، ولذلك تفاقمت الأوضاع الاجتماعية وازدادت تعفينا مع تزايد الأطماع، فيقول "جلغة السقاط" وهو يتحدث عن الفئة المحرومة والمهمشة من المجتمع والتي ثارت ضد الحقرة والتهميش وهو يشير إلى مقر البلدية «ثاروا ضد التعسف والحقرة، وعبّروا عن رفضهم للتسيير العشوائي الذي يقوم به هشام الكعام وزملائه»[4].

إن الملاحظ في الرواية هو أن "محمد مفلاح" جعل العدالة تتصارع مع ذاتها ومع الآخر من خلال الفساد والتمييز الطبقي بين الفئات من طرف المسؤولين وأصحاب المال والنفوذ عندما يستخف محمد مريرة بالعدل وبصعوبة تطبيق العدالة في هذا الوقت من السياسة فيقول: «أو تريد

---

[1] فيصل دراج، الرواية وتأويل التاريخ نظرية الرواية والرواية العربية، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 2004، ص: 92.

[2] محمد مفلاح، سقاية الموسم، ص: 50.

[3] محمد الطاهر ابن عاشور، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، ص: 216.

[4] محمد مفلاح، سقاية الموسم، ص: 16.

أن تحكم بالعدل»[1] ثم عاد بعدها ليؤسس لعدالة جديدة قائمة على المحاسبة والانتقام من خلال المتابعات القضائية التي طالت الكعام والسقاط نتيجة الاختلاسات والصفقات العشوائية وكأنه يحيلنا إلى قيمة حقيقة العدالة وإلى هوية ثابتة لا يمكن إزالتها حتى توقع تهميشها أو الاستخفاف بها، ويمكن القول أن الروائي لامس الواقع الجزائري من خلال هذا الطرح الذي يعتبر جزء من ذهنية الجزائري القائمة على اللامبالاة واستصغار قيم العدالة في المجتمع عن طريق الفساد السياسي والمالي الذي انتشر بشكل رهيب، الذي جعل الكاتب يتفاعل معه وبعده جاءت العدالة لتحاسب الفئة الكبرى المسؤولة على الفساد ومن ثمة الزج بها في السجون.

إن العدالة لا ترتبط بالمحاسبة فقط، ولا ترتبط بالسجن الردعي إنما هي سبيل لحفظ الحقوق والواجبات وتكريس مبادئ الدولة الحديثة التي تنهض بفعل المساواة والأخوة والتعاون وهذا كله من أجل توفير الحياة الكريمة لكل الناس، والمحافظة على الاستمرارية الحضارية.

استخدام العامي في الحياة الاجتماعية:

اجتهدت الجزائر منذ استقلالها في استرجاع ثقافتها الوطنية، ولعل الظروف التي مرت بها هي التي جعلت الأدباء يحجمون كثيرا على استعمال العامية والاستفادة منها، وكذلك هدفهم المحافظة على التقاليد اللغوية.

«المجتمع اللغوي يتصف بالثنائية اللغوية، وهي وجود لغة فصيحة ولغة عامية، وهذه ظاهرة طبيعية منتشرة في كل لغات العالم، فمن هذا المنطلق فالعامية لغة أنشأتها العامة لحياتها اليومية»[2].

فاللغة العامية هي لغتنا جميعا نستعملها في البين، في الشارع، في الأسواق، ولا يمكن الاستغناء عنها.

---

[1] محمد مفلاح، سقاية الموسم، ص: 117.

[2] سهام مارت، الفصحى والعامية وعلاقتها في استعمال الناطقين الجزائريين، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، 2011، ص: 32-33.

لقد استخدم الروائي اللغة العامية أيضا في الرواية، وهذا ما لاحظناه في كلمات معدودة مثال قوله: «وصاح فيه أحمد قائلا: وماذا تحب؟ لعب العرائس "يا وجه الطفلة"»[1].

«كان مخلوف يغني بصوت جهوي: يا النو "الأمطار" طيحي، طيحي وما طيحيش عليا... حتى يجي خويا... ويغطيني بالزربية»[2].

«ولكن الصبر يدبر» ولم يجد مفلاح كلمة تؤدي المعنى إلا كلمة "يدبر" هذا المثل الشعبي يتداول في منطقة غيليزان بكثرة وخاصة المناطق الغربية «كان والدي مريض، نخر الألم جسده الهزيل، قالت لي أمي: صكه بغل معمر السوباري»[3].

كان اعتماد الروائي على اللغة العامية بنسبة كثيرة جدا في الرواية، فمن خلال هذه المقاطع السردية نجد أنه وظف العديد من الكلمات في سياق لغوي فصيح، ولعلها محاولة الكاتب تسليط الضوء على اللهجة الجزائرية وتقديمها إلى القارئ، وملامسة لغة الواقع اليومي، وربما كان لتوظيفه العامية وقع كبير على النفوس، وتحمل معاني أكبر وأعمق من الكلمات الفصيحة، وربما يرى الروائي أن استعمال هذه اللغة هي الجدر في التعبير عن واقع المجتمع الجزائري.

ويرجع توظيف العامية في النصوص الروائية عموما إلى وجود علاقة بين السياق العام للحدث وبين الواقع المعاش، من خلال تفاعل الشخصيات داخل المجتمع وما ضمن الملفوظ الروائي.[4]

فقد استعمار محمد مفلاح بعض الألفاظ التي تؤدي المعنى على أحسن وجه، وعلى هذا الأساس نقول أن العامية بلغت ذروتها في أغلب رواياته، فقد ظل مفلاح يتحمل من القاموس

---

[1] محمد مفلاح، الأعمال غير الكاملة "بيت الحمراء"، دار الحكمة، الجزائر، 2007، دط، ص: 163.

[2] محمد مفلاح، الأعمال غير الكاملة "الانفجار"، ص: 218.

[3] المصدر نفسه، الانهيار، ص: 18.

[4] بنضو وسف نوفل، قضايا الفن القصصي، دار النهضة العربية، القاهرة، 1977، ص: 34.

العام من بيئة المجتمع الجزائري، خاصة منطقة الغرب، ومن أمثلة تلك الكلمات «أششت... حذرتك مرارا من حشر أنفك في الشؤون الخاصة»[1].

كلمة "أششت: لها حمولة لغوية لا تؤدي معناها، كلمات فصيحة على أتم وجه مثل "اخرسي أو اسكتي" لأن هذه الكلمة تعني حث المخاطب على السكوت التام، وفيها شيء من التحفيز، ومن أمثلة العامية التي تخللت مقاطع السرد لدى مفلاح أيضا: «استحل سيجارة، من علبة أفراز وحاول مواصلة الكتابة»[2].

الحوار:

الحوار مهارة لغوية، فطر عليها الإنسان، ولا يستطيع أن يمارس حياته من دونها، وهو شكل من أشكال التواصل بين جميع البشر لأنه كلام واعي، بحيث يحمل كل متحاور مجموعة من الأفكار يسعى لإيصالها للطرف الثاني وهو «طريقة من طرائق التعبير المختلفة... وهو من أهم الأساليب التي نعتمدها في حياتنا اليومية... لكونه وسيلة سامية للتخاطب والتواصل»[3].

ويعرفه عبد المالك مرتاض «أنه اللغة المعترضة، التي تقع وسطا بين المناجاة واللغة السردية، ويجري الحوار شخصية وشخصية»[4].

يرتبط الحوار بالفنون السردية كالرواية والقصة القصيرة والمسرحية، وهو عنصر مهم في الرواية لأنه يوهمنا بأننا نعيش واقع القصة المتخيلة.

«ولما كان الخطاب هو أكثر الأشكال الأدبية استيعابا لمختلف مستويات الكلام الأدبي وغير الأدبي، فإننا نجد أنه من أبرز أشكال الأدب التي استثمرت الخصائص التعبيرية والوظيفية

[1] محمد مفلاح، الانكسار، ص: 30.

[2] محمد مفلاح، الأعمال غير الكاملة "الانهيار"، ص: 14.

[3] علي آيتأوشان، دبداكتيك التعبير والتواصل التقنيات والمجالات، دار أبي قراهر للطباعة والنشر، الرباط، 2010، ص: 61.

[4] عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2005، ص: 146.

والدلالية والإيديولوجية للمكنون اللغوي الحواري خصوصا في عصرنا الحديث الذي يمكن وصفه من بين ما يوصف به العصر الحواري»[1].

وعند قراءة أي رواية تحتوي على حوار، نجد الراوي يتوقف عن السرد ويقدم الشخصيات، ويمكنهم من التعبير بالحوار أو بالمناجاة عن أفكارهم وعواطفهم وهواجسهم ومشاكلهم الاجتماعية، وهذا ما يظهر بوضوح في رواية "انكسار" حيث دار الحوار بين عباس البري وصهره الذي خاطبه قائلا:

«أنت لا تعلم شيئا في أمر السياسة... اهتم بتجارتك، ثم بلهجة حماسية كنا نريد تضييق العدالة الاجتماعية،ولكن أعداء الشعب وقفوا في طريقنا.

مرر عباس بيمناه على وجهه، وقال بردو

لقد تحرر الشعب من وصايتكم».

يهدف هذا الروائي من خلال هذا الحوار إلى تحقيق العدالة الاجتماعية بطريقة ذكية غير معلنة، حيث وظف شخصية بغداد بخلو في رو أسند إليها هذه المهنة ومرر ما يشاء من أفكار سياسية، وإيديولوجية، وبالتالي تحول الحوار من كلام بين شخصين روائيين إلى كلام بين الروائي والمتلقي.

«رفعت نصيرة الكل رأسها، وحملقت في وجهه، ولم تتكلم، حياها عمار الحر مبتسما

ثم قال بلطف

بالصدفة لم ترد على تحيته

قالت له بسخط

ابتعد عني... أنا لا يهمني أمر عبد الحكيم الوردي، أرجوك لا تكتب عني

لا تلقي لن أكتب عليك، فردت عليه بخنق

[1] عثمان بدري، وظيفة اللغة في الخطاب الروائي الواقعي عند نجيب محفوظ، أطروحة دكتوراه، إشراف عبد القادر مني، جامعة الجزائر، 1996-1997، ص: 12.

لست غبية ومثلك لن يخدعني»[1].

يبدو من هذا المقطع الحواري أن الإنسان مفطور عن الكلام مع الغير، وعلى المشاركة الكلامية مع الغير، وعلى المشاركة الكلامية معهم، مهما كان موقفه منهم وعلاقته بهم، وغالبا ما تدفع وحدة الشعور «وحدة الشعور والتشارك في الرأي، وهي معاني تبين ما تؤول إليه المشاركة أثناء التفاعل التواصلي من انصهار ممثلي الخطاب، في تفعيل الهدف الأول وهو التشارك في الرأي»[2].

تجاوز الذاتية والنرجسية:

يمثل الأنا روح شعورية متعالية، في رحلة البحث في الذات، فهو ذاك التشبع الداخلي الذي يتحرر من كل العقبات والاتجاهات المتصلة بالأنا الخارجي، ووصولنا إلى نشوة النا يتطلب – كما يقول الفيلسوف "مارتن هيدجر"- «أن ننطلق في مسألة الوجود في كل مكان وهو وجود الإنسان، ووجودنا نحن هو الذي ينبغي أن نبدأ البحث به، إذ لا توجد نقطة ارتكاز أخرى أقوم من الإنسان»[3]، لكن الوجود يتطلب نوعا من الممارسة والتي توجهنا نحو حقيقة الوجود.

إن الروائي "محمد مفلاح" في رحلة اكتشافه لجوهر العملية الذاتية، المتصلة بالرغبة والشعور فإنها تجلت من خلال روايته (سقاية الموسم) والتي عنى فيها على تصور الذات الفردية في حالة من التيه والضياع وفي بحث مستمر عن الثروة والسلطة وذلك من خلال مجموعة مغيرة من الشخصيات المتصارعة والمتصلة ببعضها البعض، فشخصية خليفة السقاط تبين الصراع القائم على مستوى الذات الجزائرية من خلال البحث عن المكانة السياسية غير أن الآخر يعتبر مسألة جوهرية وضرورية في تحديد الأنا، وذلك عائد إلى مسألة الشعور المتصل بالوعي بالاختلاف فالإنسان لا يحقق كماله المعدني والانتمائي إلا من خلال معاشرته للآخر ولذلك يقول Cooly «إن الذات تنمو من المخالطة مع الآخرين، وأن الأصل الاجتماعي لحياة الإنسان يأتي عن طريق أواصر

[1] محمد مفلاح، راوية انكسار، ص: 19.

[2] محمد نصيف، الحوار والخصائص: التفاعل التواصلي، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2010، ص: 18.

[3] عبد الرحمان بدوي، موسوعة الفلسفة، ج2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1984/ ص: 601.

الاختلاط أو المعاشرة مع الآخرين»[1]، وبالتالي فإن نظام العلاقات هو الذي يحكم العلاقة الانتمائية ويحرك الثنائية الاجتماعية المتصلة، المتعلقة والمتشكلة من الأنا والآخر.

ولما كان هذا حال الذات، فقد صار المجتمع هو صاحب الدور الأساسي في تكوين حياة الأفراد عن طريق الاتصال الموجود بين كل الأطراف والفئات، والذي من شأنه خلق الوحدة بين فئة معينة وخلق التنافر والمقاومة بين فئتين مختلفتين وبالتالي فالمجتمع يقوم على ثنائية التفرق والوحدة التي تحقق الأنا والآخر.

فالروائي "محمد مفلاح" في رحلة اكتشافه لجوهر العملية الذاتية المتصلة بالرغبة والشعور فإنها تجلت من خلال روايته (سقاية الموسم) والتي عنى فيها على تصوير الذات الفريدة في حالة من التيه والضياع وفي بحث مستمر على الثروة والسلطة وذلك من خلال مجموعة معتبرة من الشخصيات المتصارعة والمتصلة ببعضها البعض، فشخصية خليفة السقاط تبين الصراع القائم على مستوى الذات الجزائرية، من خلال البحث عن المكانة السياسية، فقد حملت الرواية صراعا متنوعا، فهذه الذات لم تعد تستقر على حال بعينه مثل السقاط الذي يحمل كل الهموم والنقائص للسياسي هشام الكعام، فلقد غاب بعد أحداث أكتوبر بعد أن كان من أشد المساندين لفكرة التمرد على هشام لكنه تمكن من بناء ثروة معتبرة قال عنها أحدهم أنه جمعها «من المتاجرة بالمخدرات»[2]، «وفور عودته بدأت أطماعه تتزايد حيث أراد بعث الاستثمار الفلاحي من خلال الحصول على رخصة لحفر بئر للسقي....»[3].

يمكن القول أن الذات عند "محمد مفلاح" واقعية بالشكل اللازم لأنها لم تبتعد في عمومه كما لم تبتعد في خصوصها فالشخصيات الروائية جاءت على قدر من المكانة يصعب فصل شخصية رئيسية عن باقي الشخصيات وهذا دلالة على التقارب.

---

[1] الربيع ميمون، نظرية القيم في الفكر المعاصر بين والمطالبة، سلسلة الدراسات الكبرى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 1980، ص: 325.

[2] محمد مفلاح، سقاية الموسم، ص: 52.

[3] المصدر نفسه،ص: 120.

الحرية:

الحرية لا تعني أن يقوم الإنسان بفعل ما يريد ومتى يريد دون رقيب أو حدود تكون ملزمة لكل طرف بحيث يمارس حريته ضمن هذه الحدود وعدم تجاوزها سواء على المستوى القيود الدينية أو الاجتماعية أو الأخلاقية.

أما في مجال السياسة فينادي المضمون في كل مكان بالحرية، ومع اختلاف الآراء حول معنى الحرية السياسية، فإن القادة السياسيين يتفقون على أن الحرية مطلب أساسي للمجتمعات البشرية، حتى وإن اختلفوا في تحديد معناها عند تطبيقهم لها.[1]

تعريف الحرية: لغة: هي مشتقة من الفعل حرر أي أعتق وصار حراً.[2] وتأتي الحرية بمعنى لم تتملكه الصفات الذميمة من الحرص والشر على المقتنيات الدنيوية.[3] قال ابن منظور: «الحر بالضم نقيض العبد وجمع أحرار والحرة نقيض الأمة»[4].

الحرية اصطلاحا: فتعرف الموسوعة الفلسفية الحرية بأنها مقولة فلسفية تعبر عن العلاقة بين النشاط البشري والقوانين الموضوعة للطبيعة والمجتمع ويعتبرها الفلاسفة هي تقرير الروح لمصيرها، وحرية الإرشادات وإمكانية التصرف وفق إرادة لا تحدها الظروف الخارجية.[5]

ومن الملاحظ أن هذا التعريف يقور الحريات المطلقة وهو أمر غير ممكن إلا في ظل فوضى لا يرضى بها أحد، ويشهد على ذلك التاريخ القديم والحديث.

ولقد حدد القرآن الكريم إطارا عاما للحرية بقوله تعالى: ﴿لَّا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾[6]، وهذا يعني إمكانية مجاهرة الفرد والتعبير عن معتقده

---

[1] سمير خطاب، التنشئة والقيم، ايتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2007، ص: 28.

[2] محمد بن بكر الرازي، مختار الصحاح، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1997، ص: 129.

[3] الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مادة حر.

[4] ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج3، ص: 117.

[5] الموسوعة الفلسفية، وضع لجنة من العلماء السوفيت، ترجمة سمير كرم، دار الطليعة، لبنان، ط7، 1997، ص: 179.

[6] سورة النساء، الآية: 148.

أو فكره أو رغبته بحيث لا تصل به هذه الإمكانية إلى المجاهرة فيما يخالف الدين أو يمس الصالح العام، أو مصادرة حقوق الآخرين وحرياتهم دون وجه حق، لأن الجهر بالسوء في الآية الكريمة يعني كل ما يخالف الدين أو يمس الصالح العام أو فيه اعتداء على حقوق الآخرين.[1]

من الملاحظ أن هناك عدة تعريفات وتوضيحات لمفهوم الحرية بحيث تتداخل هذه التعريفات والمفاهيم فيما بينها، فظروف الحياة ألقت بظلالها على مستوى الحرية المطلوبة فمن يعاني من الفقر والذل والظلم يطالب بأدنى مستويات الحرية للشعور بوجوده مع مطالبة آخرين بحرية مطلقة يكون من خلاله تحقيق ما يريد تحت هامش الحريات، فالحرية بالتالي هي نسبية تختلف باختلاف الظروف والمعطيات.

هناك حقوق معنوية ومادية تحت إطار الحريات الشخصية لكل إنسان يسعى من خلالها إلى تحقيق أهدافه دون أن يكون في هذا الحق التجني على الآخرين بممارسة حرياته. فحقه في التملك والبيع والشراء وحرية العبادة وغيرها من الحقوق المادية والمعنوية بصفته جزء من هذا المجتمع ويخضع للقانون كشخص يمارس حقوقه ويقوم بواجباته تجاه المجتمع. إن حصول الإنسان على مستوى حياة مناسب وعدم خضوع الفرد للقيود والمعيقات التي تحد من تفكيره وتحقيق غايات التي يريد تحقيقها هي بمثابة حريات اجتماعية تسعى كل المجتمعات للحصول عليها، وذلك من خلال الحصول على حياة كريمة ومستوى معيشة لائقة سواء لكبار السن منهم أو الأطفال أو العاجزون كما على الدولة أن تضمن لهم حق العلاج الطبي والخدمات الصحية لجميع الأفراد مع توفير ظروف العمل المناسبة، كل هذه الحقوق هي خاضعة للقوانين واللوائح بحيث لا تتعدى على حقوق الآخرين أو الحد من حرية البعض «الزواج لا يعني في نظره إلا قيداً للحرية...»[2].

فالحرية هي أساس الاستقرار وتحقيق الفرد لالتزامه بالواجبات الاجتماعية، فالواجبات تحرر الإنسان من النزوات الفردية.

---

[1] إياد فوزي حمدان، مظاهر الحرية الشخصية والعامة في الإسلام، مجلة دراسات دعوية، العدد 17، يناير 2009، ص: 107-108.

[2] محمد مفلاح، الأعمال غير الكاملة، ص: 183.

الفصل الثاني:

صور التناقر الاجتماعي في روايات محمد مفلاح

- التطرف
- الجريمة
- العنف
- التهميش والحاجة إلى الانتماء
- الهجرة أو الاغتراب
- الخمر
- غياب الأمانة في المجتمع

تمهيد:

يرتبط الفرد مع الجماعة ارتباطا وثيقا، ولا يمكن للإنسان العيش منعزلا عن الآخرين، فهذه الرابطة هي التي تربط بين الفرد وجماعته تحدد ملامح الحياة الاجتماعية فيه، ومن البديهي أن يكون رابط الصداقة من أهم الروابط التي تنشأ بين الأفراد والجماعات، لأن الإنسان بطبعه اجتماعي، والصداقة تمثل علاقة التماسك والتآزر بيم مجموعة من الأفراد. مع العلم أن هذه الرابطة قد تنشأ بين أفراد لا يجمع بينهم نسب في الولاء وإنما نتيجة الالتقاء مع الجماعة، وهذه الصداقة قد تكون وجدانية أو فكرية.

اهتمت الرواية الجزائرية بالقضايا الاجتماعية، والهموم الإنسانية، على مستوى الوطن والأمة، وأكثر ما اهتم به الرواة التركيز على الآفات الاجتماعية السائدة في المجتمع، ومن أبرز هذه الآفات الطلاق، التطرف، الجريمة، العنف، التهميش، الأمية، الهجرة، اليتم، الخمر، غياب الأمانة في المجتمع...الخ.

التطرف:

يعتبر التطرف حالة من حالات الأنا القائمة على طمس هوية الآخر وإقصائه من الوجود، ومن أبرز معالمه هي تلك التي انتهجها المستعمر الفرنسي في الجزائر.

«التطرف هو مجاوزة الاعتدال وعدم التوسط في الأمور، وهو لزوم طرف في مواجهة طرف آخر، والمتطرف هو الذي يلتزم، اتجاها معاكسا لخصم حقيقي متوهما وجوده في الواقع أو الخيال، والتطرف يعبر عن الخروج عن القواعد الفكرية والقيم السلوكية التي يرتضيها المجتمع والتي تمثل الأداء، الأفكار، المعتقدات وطرف السلوك الفردي والاجتماعي»[1].

«كما نجد التطرف الديني هو مجاوزة الاعتدال الديني فكرا أو عملا ومصادرة اجتهاد الآخرين، وتجاوز الحدود الشرعية في التعامل مع المخالق، مع الإتيان بآراء فيها تشدد ومغالاة لم يكن عليها دليل، فالتطرف الديني والتعصب يخلق في صاحبه عقيدة السعي في الاستعانة للدفاع

[1] فيلبي برده، علم الاجتماع السياسي، ترجمة الدكتور عرب صاميلا، دار الشروق، بيروت، 1998، دط، ص: 343.

عنها والتصلب في الرأي، مما ينعكس في تكوين جماعات تتخذ من التقتيل منهاجا، ولا تقبل أي منهاج للمحاورة، أو المشاورة، والإسلام بريء من هذه التصرفات»[1].

ويعرف «التطرف أيضا بأنه الخروج عن القواعد الشفهية أو المكتوبة العرف والقانون، والقيم والأطر الفكرية والدستورية التي حددها وارتضاها المجتمع لتحديد هويته وسمح من خلالها بالتجديد والحوار والمناقشة، وموضوع التطرف قد يكون فكريا أو سلوكيا».

وعليه فإن التطرف في صورته البسيطة لا يعد إرهابا لكن متى اقترن بأهداف سياسية أصبح كذلك، كما أن عملية تحديد المصطلحات من إرهاب عنف تطرف، من شأنها تسليط الضوء على ظاهرة الإرهاب.

«لقد كانت فترة التسعينات حافلة بالروايات التي تحاول أن تؤسس لنص روائي يبحث عن تفسير داعي مرتبط ارتباطا عضويا بتفسير المرحلة التاريخية التي أنتجته، وبالواقع الاجتماعي الذي شكل الأرضية التي استطاع من خلالها الروائيين أن يستهلوا الأحداث والشخصيات، من أجل قراءة الحادثة التاريخية قراءة مرهونة بالظرف التاريخي الصعب الذي مروا به»[2].

بعد الأزمة التي عصفت بالمجتمع الجزائري خلال السنوات الماضية، والتي مست كل طبقات المجتمع، فاتخذت الرواية الأزمة من المأساة الجزائرية مدار لها.

«إن الإرهاب ليس حدث بسيط في حياة المجتمع، وقد لا يقاس بالمدة التي يعرفها، ولا بعدد الجرائم التي يقترفها بل بفضاعة وبشاعة وحشيتها، وعندما تعلق الأمر بالجزائر فإن الإرهاب يقاس خطورته بتلك المقاييس جميعا، استغرق مدة قصيرة لكن اشتغال الناس في سعيهم اليومي وأرقهم الليلي لم يمنع بعض الكتاب من تسجيله، بل إن ثقله هو الذي يفرض على الكاتب من الحضور ويصعب عليه أن ينفصل منه»[3].

---

[1] فيلبي برده، علم الاجتماع السياسي، ص: 344.

[2] شادية من يحي، الرواية الجزائرية ومتغيرات الواقع http.www.giuan alords.com السبت 4 ماي 2013.

[3] مخلوف عامر، أثر الإرهاب في الرواية، مجلة عالم الفكر، المجلد 22، العدد الأول سبتمبر، دط، 1999، ص: 304.

«لقد أصبح الإرهاب هاجس خوف وقلق يثير الرعب، خاصة وأن الإرهاب ليس حرب نظاميا، وإنما يعبر عن نفسه بأعمال إرهابية مختلفة، وعلى شكل حرب عصابات غير منظمة، وما يمر يوم إلا وتعلق وسائل الإعلام على هجوم خطير، أو انفجار قنبلة، أو تفجير سيارة، والأمر الأكثر خطورة هو أن الإرهاب لم يعد يقتصر في عملياته على الاغتيال في بعض الشخصيات أو الجماعات، أو القيام بالتفجيرات المرعبة، واحتجاز عدد من الرهائن، وإنما أصبح إرهابا جماعيا من القتل والذبح والتدمير والإبادة»[1].

حاول محمد مفلاح من خلال بعض رواياته تقديم صورة عن فترة التسعينات فترة العشرية السوداء، التي عاشها الشعب الجزائري والوقوف على أبشع الجرائم التي اقترفتها الجماعة المتطرفة في حق المجتمع الجزائري «في سنوات العشرية السوداء أو الحمراء، غير الحاج عبد القادر القوي بابه الخشبي واشترى بابا حديديا ضخما، من لحام يحي الرق، وسجن كل نوافذ الشقة بشبابيك حديدية، وفي هذه العشرية غير جيرانه نوافذ أبواب شققهم المتواضعة التي صنعوها عند اللحام نفسه خوفا من القتل والاغتيال والسرقة أيضا»[2].

«تذكر مرة عبد الحليم الوقادي المقتول في العشرية السوداء، والتي لم تعد حمراء بعدما ساد الأمن في البلاد، بقانون المصالحة الوطنية، لم ينس اللحظة المؤلمة التي حضر فيها جنازته، وبالرغم من أجواء الرعب السائدة وقتذاك في المدينة الجريحة، بأخبار مفزعة، ورؤوس مقطوعة معلقة على أعمدة، وجثث في واد منة وتفجيرات مرعبة، ولاحقة الإرهابيين في الغابات والجبال»[3].

الجريمة:

نجد محمد مفلاح قد استعان في كتاباته بالرواية البوليسية وهي«القصة التي تردد أحداثها في أجواء بالغة التعقيد والسرية... تحدث فيها جرائم قتل بشعة، أو سرقة أو ما شابه ذلك، وأغلب هذه الجرائم غير كاملة، لأن هناك شخص يسعى إلى كشفها وحل ألغازها المعقدة، قد

[1] مخلوف عامر، أثر الإرهاب في الرواية، ص: 305.

[2] محمد مفلاح، شبح الكليدوني، ص: 23.

[3] المصدر نفسه، ص: 38.

تتوالى الجرائم، مما يسبد الكشف عن الفاعل، ويسعى الكاتب في بعض الأحيان إلى وضع شبهات حول شخصيات قريبة من الجريمة»[1].

من خلال هذا التعريف يمكن أن يشير إلى بعض الروايات المفلاحية التي تعاملت مع الجريمة: الكافية والوشام، الوساوس الغريبة بشكل يضفي عليها طبيعة بوليسية.

«يستدرك دوركايم منبها إلى إدخال الجريمة ضمن الظواهر الاجتماعية السلمية، إلى تأكيد أن الجريمة عامل لابد منه لسلامة المجتمع/ وأنها جزء لا يتجزأ من كل مجتمع سليم»[2].

«فقد نسج مفلاح خطوط الرواية قد تتدرج ضمن الرواية البوليسية، ومن الوساوس الغريبة التي تحطم الكثير من القوالب الجاهزة للحكي المدجن»[3].

تكتسي رواية محمد مفلاح حيثيات لمعالم الجريمة مفادها امرأة ثرية تدعى زينب الهندي، وهذا ما نلمسه في العنوان الهامشي للرواية، على هامش مقتل الأرملة الثرية، وفي إطار هذه القضية نجد المتهم الرئيسي فيها هو الشاعر عبد الحكيم الوردي، وعليه فملابسات الجريمة التي خيمت على النص الروائي حضورها بشكل غامض، جعلها تبدوا معقدة ويدخل هذا ضمن خاصية الرواية البوليسية نظرا للتباين الشديد بين الجنسية وانفكك كلتاهما، في الأنباء على الجريمة فقد ركز مفلاح جل اهتمامه على تتبع مسار عمار الحر في عالم الكتابة.

ونجد الواقع يطغى على الوساوس الغريبة من خلال مصداقية الزمان والمكان، أما الخيال فقد كان طبقا في الرواية ليس إلا، فقد كتب مفلاح روايتيه الوساوس الغريبة، والكافية والوشام بشكل مفعم بعالم الجريمة من باب الجريمة المتعة والتشويق، استهوته الرواية البوليسية بحلة تقليدية ذكرها بين فينة وأخرى، فقد ذكر الجريمة والعقاب لديستوفسكي وقصص أغاث كريني البوليسية التي نذكر منها 13 لغزا المشوقة.

---

[1] محمد ساري، رواية انهيار دراسات في أدب محمد مفلاح، جريدة المساء، يوم 1987/11/29، ص: 54.

[2] محمد قاسم، السيد محمد بدوي، ترجمة قواعد المنهج في علم الاجتماع، تأليف إميل دوركايم، مكتبة النهضة المصرية، ص: 45.

[3] وهيبة منداس، تجربة متخصصة سردية (الوساوس الغريبة)، دراسات في أدب محمد مفلاح، دط، ص: 31.

وفي إطار غبت الكاتب ف الولوج إلى عالم الرواية البوليسية نجده يطرح على لسان شخصيته الحورفية محفوظ قائلا: «ما الشيء الذي يمنعه أن يؤلف مثل الأديب ديستويفسكي؟ وقال بقلق لست مغرور».

«شرع في تقليب صفحات الجريدة ثم توقف في قراءته المضطربة عجوز في الستين تقتل زوجها، الذي يخونها مع الخادمة، رئيس بلدية سابق متهم بتبذير المال العام، حريق مهول إجرامي يأتي على مصنع، اغتيال ثلاث أعوان حراسة، شاب بطال يقتل والده المعوق، امرأة تعتدي على مسؤول إداري، كهل يعتدي جنسيا على قاصر»[1].

العنف:

إن بناء الإنسان لابد من فراغ، وإنما تفرضه ظروف المجتمع، وواقع الحياة وأحوال الناس مادام البشر في تحرك مستمر نحو حياة أفضل فلابد من أن تكون الحاجة الملحة دائما لتطوير وسائل بناء الإنسان، ولكن هناك مواقف في حياة كل مجتمع تفرض عليه ضرورة التحرك السريع من أجل تطوير الرؤية وتحديث المحتوى للابتعاد عن الخطر المحقق، أو لا نفاذ من الهاوية التي يقترب منها، حيث تمر المجتمعات بتغيرات اجتماعية وسياسية واقتصادية والتي لها انعكاساتها المتغيرة السريعة والمتلاحقة على جوانب عديدة والتي لها أثرها الذي لا يمكن إغفاله هو الآخر أو غض الطرف عنه.

إذ يرتبط التطرف بالعنف، ما هو إلا وسيلة تستخدم أغراضا دينية أو سياسية، ويستخدمها الشخص عندما يكون في موضع قوة أو في موضع ضعف يحاول من خلالها تحقيق ما يعتقده بالقوة، بعد أن يفشل في ذلك باستخدام الفكر أو الحجة.

[1] محمد مفلاح، الأعمال غير الكاملة، رواية الانهيار، ص: 09.

والعنف فكرة يؤمن بها المتطرف وتتحول إلى فعل عدائي ضد الأفراد أو المجتمع أو النظام السياسي القائم، والتطرف فعل إرادي معتمد يقصد إلحاق الضرر أو التلف أو تخريب أشياء أو ممتلكات أو منشآت خاصة أو عامة، أهلية أو حكومية عن طريق استخدام القوة.[1]

يعتبر العنف مظهرا من مظاهر التطرف والسلوك العدائي للآخرين بغية إلحاق الضرر بهم، وذلك باستخدام القوة الجسمانية من جانب الشخص العنيف أو المتطرف دون مراعاة لحقوق قانونية أو لأصول وأعراف اجتماعية سنها المجتمع.

والعنف عموما هو الذي يلجأ إليه المتطرف، فإما أن يكون من أجل فرض النفوذ في المجتمع أو في السلطة أو إشاعة الفوضى والذعر في المجتمع لهدف إظهار السلطة بمظهر الضعف، وإما أن يكون لغرض الاستيلاء على السلطة على أنه يمكن القول أن هذا السلوك إما أن يكون سلوكا جماعيا عفويا أو يكون رد فعل على وضع اجتماعي أو ديني أو سياسي معين، على اعتبار أن التطرف أيضا هو نسيج فكر معين أو خليط معتقد معين أو اتجاه جماعة معينة، فإذا بمعتنق الفكر مغالبا، وصاحب المعتقد متشددا وعضو الجماعة متطرفا، ولا يمكن أن يتخلى أحد عن مغالاته أو تشدده أو تطرفه إلا إذا نوقش بحرية وجودل المعتقد بالتي هي أحسن، وقد يكون التطرف عملا فرديا عفويا أو تطرف عصبة عشوائية أو رد فعل تقر من الناس على بعض الظروف والأوضاع.[2]

ومع هذا فإن جلّ الاعتبارات مهما كانت دينية أو عصبية لا يمكنها أن تفرض على واقع المجتمع الجزائري الانهزام أمامها كما لو كانت فضاء وقدرا، ذلك أنه وفي ظل هذه الأزمة يمكننا أن نصل إليها في مثل هذه الحالات.

فلقد مرّ الجزائريون باضطهاد كبير من قبل المستعمر الفرنسي «ولما رفضت طلبه صاح بغضب سأتزوجك بالقوة.

---

[1] خليل فاضل، سيكولوجية الإرهاب السياسي، دار الطباعة المميزة، قطر، 1991، ص: 12.

[2] محمد سعيد العشماوي، التطرف الديني وأبعاده السلبية أمنيا وسياسيا واجتماعيا، مجلة المنار، القاهرة، عدد 36، 1987، ص: 36.

ثم اندفع نحوها، أمسكت خيرة بزجاجة فارغة وابتعدت قليلا وهددته بها.

بهت منصور لعور، خاف من افتضاح أمره.. ابتسم لها بمكر... حاول أن يخدعها لكن فشل... وهددها قائلا:

سأدخلك السجن قريبا.

كان جاد، في اليوم نفسه فتش العساكر بيتها... وجدوا تحت الخزانة الخشبية أوراقا مكتوبة بالعربية لم يكن لها علم بها. كانت المناشير مدفونة تحت الخزانة وفي المرحاض؟ بعد زيارة منصور لعور؟ احتارت، غضب العساكر... شتموها وضربوها وهددوها بالقتل، كانت تردد بخوف، لا علم لي بذلك.

أخذوها معهم... وفي المركز العسكري حاول منصور لعور أن يغتصبها»[1].

والملاحظ في فعل التطرف في المجتمع الجزائري خلال مرحلة العشرية السوداء، هو أن القناعة التي يدافع عنها الأبطال هي في الحقيقة لا تحمل اليقين التام لأنها متغيرة وتحمل الصحة والزيغ.

فالتطرف في "سقاية الموسم" لم يكن دينيا بقدر ما كان فكريا، وانحاز كل إلى رأيه وقناعته الشخصية فالعكام «لن يهدأ له بال حتى يقضي على خليفة السقاط، إنه شخص خطير وقد يؤذيه»[2]، فقد جاء إلى مكتبه وطلب منه الحصول على محل تجاري، وعندما ذكره بأنه مستفيد خرج مشحونا يكثر منبآ بالتطرف والانحياز إلى خياره الشخصي، وأما خليفة السقاط فيقول: «وهو موقف آخر من مواقف التطرف الفكري القائم على المصلحة، لأن التطرف الديني قائم على المبالغة في الشيء إلى حد الشعور بمصلحة شخصية في ذلك الفكر المعبر عنه».

لا يرتبط التطرف باستخدام العنف كوسيلة لتحقيق الأفكار التي يؤمن بها المتطرفون، والعنف ما هو إلا وسيلة تستخدم أغراضا دينية أو سياسية ويستخدمه الشخص عندما يكون في

[1] محمد مفلاح، الأعمال غير الكاملة روايات، دار الحكمة، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007، ص: 464.

[2] محمد مفلاح، سقاية الموسم، الدروب المتقاطعة، دار الكتب، الجزائر، ط1، 2013.

موضع قوة أو موضع ضعف يحاول من خلاله تحقيق ما يعتقده بالقوة، بعد أن يفشل في ذلك باستخدام الفكر أو الحجة.

التهميش والحاجة إلى الانتماء:

تعيش معظم الأسر الجزائرية نوع من التهميش والذي نقل إلينا نوع من الحكم التعسفي في الأسرة الجزائرية، وسيطرة طرف واحد وغالبا ما تكون السلطة هي المسيطرة عليها، لذلك تطرقنا إلى التهميش.

يأتي تعريف التهميش والهامشية على أنه نمط من الحياة على هامش المجتمع، وعدم قبول الفرد فيه من انتمائه غير الواضح تماما لإحدى الفئات الاجتماعية أو السياسية أو أن يكون هذا الانتماء غير معترف به، وقد يكون نتيجة لصراع نفسي ما، والانتماء إلى الجماعة يمنح الفرد الشعور بمعنى الحياة وفرض ذاته وينمي روح المسؤولية لديه ويعزز التزاماته، وهو ما يحفزه على أداء واجبه على أحسن وجه.

فالحاجة إلى الانتماء هي حاجة الفرد لأن يكون في جماعة متوحدا معها ومقبولا، ومستحسنا فيها وله وضع آمن فيها، والوجود الحقيقي للإنسان يتحقق من خلال تلاقيه مع غيره من الأشخاص ومن خلال تعامله مع مجموعة من الأشياء.[1]

والحاجة إلى الانتماء يقوم على شعور الفرد بأنه جزء متكامل من جماعة ما، وما يقوي الشعور بالانتماء ويؤكد دور الفرد داخل الجماعة كقيامه بأعمال تعود على الجماعة بالنفع، فأهمية الانتماء تنبع من أهمية الدور الذي يلعبه الفرد في الجماعة وشخصيته، كما أن القلق الذي تعيشه بعض الفئات الاجتماعية أو السياسية غير واضح تماما أو غير معترف به أو نتيجة لأي مصدر آخر من مصادر الصراع النفسي، وهذا القلق يكون من الثقل والضخامة أحيانا بحيث يعوق هؤلاء الأفراد عن أن يواجهوها في واقعهم الاجتماعي والسياسي من غموض وتهميش، فانتماء الفرد إلى الجماعة يمنحه الشعور بمعنى الحياة وتأكيد الذات وتقبل الآخرين له، بالإضافة إلى أنه يعمل على

[1] هانم إبراهيم، الانتماء والقيم، دار النهضة العربية، القاهرة، 2002، ص: 10.

أن ينمي بداخله عددا من المسؤوليات والالتزامات نحو الجماعة التي ينتمي إليها، وتجعله يؤدي واجبه بإخلاص وإتقان تعبيرا عن مدى ولائه وانتمائه العميق لتلك الجماعة، ذلك أن الحاجة إلى الانتماء هي حاجة الفرد أن يكون في جماعة ومتوحدا معها ومقبولا ومستحسنا فيها، وله وضع آمن فيها، والوجود الحقيقي للإنسان يتحقق من خلال تلاقيه مع غيره من الأشخاص ومن خلال تعامله مع مجموعة من الأشياء.[1]

غير أن الحاجة إلى الانتماء لا تقتصر على مجرد ميل الفرد إلى الوجود في الجماعة، بل قوامها شعور الفرد بأنه جزء متكامل من جماعة ما، يتعاون أفرادها ويتساندون ويهتم بعضهم ببعض، مما يقوي الشعور بالانتماء إلى الجماعة قيام الفرد بعمل يقيدها كما أن أهمية الانتماء ودمج الإنسان في المجتمع تنبع من أهمية الدور الذي يجعله في تكوين شخصيته وتحديد معالمها.

والحاجة إلى الانتماء هي التي تدفع إلى التعلق بكيان أعظم قد يكون اجتماعيا أو سياسيا يستمد منه الفرد الشعور بالقوة ويستمد منه المعنى ومشروعية وجوده بعيدا عن الخوف والقلق مما سيحمله المستقبل، لتخلص من ذلك أن الإحساس بالهامشية يفضي لشعور بعدم الاستقرار أو عدم الطمأنينة فيما يتعلق بمكانة الفرد داخل الجماعة أو المجتمع أو لحالة الخلط لمكانة الفرد فيها، أو لحالة من التشويش فيما يتعلق بما يجب على المرء فعله، وبالتالي في إدراكه لهويته الاجتماعية والسياسية، أو صورة الذات لديه وتصور الآخرين له.

ولقد عرفت الجزائر منذ العقد الرابع من استقلالها إشكالا مختلفة من التهميش الذي اتبعته السلطة كأسلوب من الأساليب التي تستهدف الحفاظ على استمراريتها وفرض رؤاها وأفكارها وتجنبا لظهور الخلافات، الشيء الذي ينجر عنه ظهور عدة مجموعات تختلف فيما بينها في الرؤى حيث أن الأشخاص الهامشيون يحتلون موضعا بين جماعتين أو أكثر لكل منها معاييرها وأساليبها

[1] هانم إبراهيم، الانتماء والقيم، ص: 11.

الخاصة في الحياة، وفي هذا الموضوع تتنازع هذا الشخص دوافع إلى الرغبة في الارتباط بإحدى الجماعات.[1]

«خلال الثلاث ليالي التي قضاها أمحمد شعبان في القيطون الأخضر، استمع أيضا إلى الشيوخ الذين كانوا يرون بعضا من سيرة المتوفي وحكاياته الغريبة، كان يعجب لشجاعة عمه النادرة ومغامراته العجيبة، ولكنه لم يكن فخورا بسيرة هذا العم الذي ظلم والده وحرمه من ميراثه، واهتم أمحمد شعبان كثيرا بما كان يروى عن موقف[2] مشري من جده الشيخ أمحمد المنفي وأحفاده القاطنين بمنطقة بواري الكاليدونية، وقد زار أحدهم وكان يدعى "نوفي علي" ولقبه "بنعدة" وكان في سن السبعين، فاستقبله مشري بوجه عابس وقال له إننا لا نعلم شيئا عن هذا المنفي الذي جئت مدينتنا للتعرف على ذريته، وإذا أردت أن ترثه فاعلم أن دوار الشيخ كله صار ملكا لأولاد العم، وقد قضى السيد "نوفي علي بنعدة" ليلة واحدة في بيت الحاج عبد القوي، روى فيها بعض سيرة الجد الشيخ أمحمد المنفي، ثم عاد إلى مدينته بوراي التي كان يتولى فيها مسؤولية بمصالح الري»[3].

وكان مشري قاسيا أيضا مع عائشة، المرأة السمراء القادمة من المملكة العربية السعودية، التي زارته في بيته وفي نيتها أن تتعرف على أحفاد والد جدتها فقال لها: «ما أكثر المنفيين في هذا الزمن، ثم نصحها بالتخلي عن أوهام الماضي والجري وراء السراب»[4].

الهجرة أو الاغتراب:

أثبتت الوقائع أن الهجرة كانت بمثابة الحل الأنجع لمشكلة الفقر التي كانت تعانيها الجزائر، وقد شكلت موضوعا أساسيا للكتابة الإبداعية، والنماذج الروائية أهم الأنواع الأدبية تعبيرا عن

---

[1] حسن علي حسن، تهديد الهوية ومشكلة الأصولية والتطرف في المجتمعات الإسلامية، كلية الدراسات الإسلامية، القاهرة، ج4، 1998، ص: 17.

[2] محمد مفلاح، شبح الكليدوني، دار المتهى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2015، ص: 85.

[3] محمد مفلاح، شبح الكليدوني، ص: 86.

[4] المصدر نفسه، ن.ص.

معاناة المهاجرين، وأكثرها إظهارا لمواقفهم وآرائهم المتباينة فجاءت الكتابة الروائية وصفا للذات التاريخية، والمفارقات الاجتماعية التي يعيشها المهاجر بآمالها وانكساراتها وبنجاحاتها وإخفاقاتها لذلك احتل الموضوع هذا النوع من الكتابة مكانة بارزة في الكتابة الأدبية، ومن أهم الدراسات التي تناولت الهجرة دراسة "عبد المالك مرتاض" بعنوان (القصة الجزائرية المعاصرة و«التي عاد فيها الناقد الجزائري إلى المضمون الاجتماعي في القصة الجزائرية مركزا حديثه على ثنائية الفقر/الهجرة، حيث أن هذه الأخيرة اعتبرها نتيجة حتمية للعامل ألأول المتمثل في الفقر من خلال أعمال قصصية جزائرية أهمها (الرسالة) و(ثمن المحمد) للقاص والروائي "عبد الحميد ابن هدوقة" وقصة (مغترب) للقاص "مصطفى فاسي" وهي أعمال تمحورت حول شخصية الفرد الجزائري المثقل بالمعاناة والمصائب جراء المخلفات الاستعمارية والمعاناة الاجتماعية وبالتالي إذا تأملنا فإننا نشعر بمأساة في موقف وجمال في التناول»[1].

وتجلت تيمة الهجرة من خلال الروايات الأولى التي جسدت خطاب ما بعد الاستعمار كما جسدت خطاب ما بعد الاستقلال بنقل الآلاف من المهاجرين العرب من شمال إفريقيا إلى أوربا زيادة على ظروف الحرب الأهلية وتدهور الأوضاع السياسية.[2]

وكانت الهجرة من أهم الهواجس التي عالجها الروائي الجزائري في كتاباته الإبداعية لما تحمله من خصوصية اجتماعية وثقافية، فإن المتأمل لشخصية الجزائري يجدها تتميز بكثرة الترحال والتنقل لأغراض مختلفة، أهمها البحث عن مصادر العيش الكريم أو السعي وراء العلم والمعرفة أو التعرف على أحوال البلدان، واكتشاف طرق عيش أهلها.

ومن أهم أنواع الهجرة الجزائرية نجد الداخلية والخارجية، أما الداخلية تمثلت في الانتقال من الريف والقرى إلى المدينة، هروبا من بطش الأزمة وغياب الخدمات الاجتماعية، وأما الخارجية

[1] عبد المالك مرتاض، القصة الجزائرية المعاصرة، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، ط4، 2007، ص: 26.

[2] المرجع نفسه، ص: 5-6. بتصرف.

فتمثلت في مغادرة الوطن إلى الدول الأجنبية سواء عربية أو غربية بحثا عن مقاصد متنوعة من أبرزها المشكلة الأمنية.

فقد مثلت الهجرة في رواية (سقاية الموسم) رمزا للخلاص، جاءت كإشارة إيمائية للتخلص من الفقر والتخلف دون الاهتمام بالمبادئ الأساسية ودون الاهتمام بالرجلة الحقيقية التي يجب أن يتحلى بها الرجل، ففي الرواية نجد "صالح الوهية" أحد أبطال الرواية يصور كيف أن الزواج من ابنة مهاجر يعتبر إنجاز حقيقي يستحق التميز، فيقول مخاطبا صديقه "صالح المريرة" «تحرر أخونا من عائلة الرواسي، سيتزوج ابنة مهاجر ثري وأتمنى أن يتخلص من الزلط اللعين»[1]، فقد كان "محمد مريرة" يفكر في الهجرة غير الشرعية نحو إسبانيا حيث «رغب في الهجرة السرية إلى إسبانيا فوجد نفسه عاجزا عن دفع مساهماته لشراء قارب الحرقة، ضاق صدره حين تذكر عبد الصمد جاره الذي مات في عرض البحر قبل أن يصل به القارب إلى شواطئ إسبانيا»[2]، وهذه علامة من علامات اليأس والنفور من الواقع المؤلم الذي يعيشه كل فرد، فالذي منع المريرة من الهجرة ليس تحسن الأوضاع، ولكن عدم القدرة على جمع المال اللازم للسفر عن طريق الحرقة.

كما سيطر نوع آخر من الهجرة وهو الهجرة الريفية التي انتقل من خلالها الناس نحو المدينة هروبا من قساوة العيش، ولهذا كان محمد المريرة يسخر من خاله الذي اختار خدمة الأرض من أجل كسب القوت «ابتسم ساخرا من مغامرة خاله الحالم، بخدمة الأرض في زمن ازدادت فيه الهجرة الريفية إلى أطراف المدن الكبرى»[3]، فالريف أصبح منبوذا في الواقع داخل الفضاء الروائي وذلك لغياب السياسة المهتمة به وبنشاطه، فالكل تعول للمدينة والربح السريع، فلقد انسلخ المجتمع من قيمته الإنسانية وتحول إلى آلة جمع المال بكل الوسائل المتاحة.

[1] محمد مفلاح، سقاية الموسم، ص: 48.

[2] المصدر نفسه، ص: 79.

[3] المصدر نفسه، ص: 77.

الخمر:

تناول هذا الشراب جناية على أقدس شيء وهو العقل الذي به يميز الإنسان وصار أكرم المخلوقات، فمن ذهب عقله انحط إلى درك الحيوانات، وفقد كرامته واعتباره لدى العقلاء الراشدين وصار عند الله من الملعونين، وانسلخ عنه وصف المؤمنين، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَحِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ»[1].

والخمر أم الخبائث، وشربها من أكبر المحرمات في الإسلام لقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

وتجد هذه الآفة متجذرة في شرايين المجتمع العربي بصفة عامة، بمعنى أنها كانت محبوبة لدى العرب بشكل لم يحدث له مثيل وذلك لتحقيق أهداف وغايات وميولات أو إحداث انفصال في الحياة والواقع كالعزلة والاكتئاب واليأس أو الشعور بالقلق وعدم القدرة على التمتع بهذه الحياة.

لقد صور لنا "محمد مفلاح" الخمر في مواضع متعددة داخل المتن الروائي حيث جاء بعضها للدلالة على خطورة تأثير الخمر، وأثره على السلوك مثلما هو الحال مع "مروان المكاس" الذي طلق زوجته بفعل السكر والمجون والاختلاط «لم ترحم المرأة سكينة الصقلي التي شعرت أنها أهملت نفسها كثيرا، مدرها زوجها السكير وقضى على كل أحلامها»[2]، فسكينة أصبحت ضحية من ضحايا المكاس، في إدمانه على شرب الخمر وتلهفه للحياة الجديدة المبنية على الثروة والمال، فلقد صارت الخمر تحمل هوية جديدة في سلوك بعض الشخصيات بل إنها صارت جزء من بناء وتحريك الشخصية وعاملا حاسما في تحديد يومياتها، أما محمد المريرة الذي يقول عنه الراوي: «أغلق محمد المريرة نافذة الحجرة... فتح ثلاجة قديمة أخرج منها زجاجة خمر وحبات زيتون وقطعة

[1] البخاري ومسلم.

[2] محمد مفلاح، سقاية الموسم، ص: 64.

جبن... أكل حبات الزيتون واحتسى كمية كبيرة من الخمر وراح ينصت إلى أغنية عاطفية حزينة»[1].

فقد مثلت الخمر عنده لحظة التدفق الشعوري المتصل بالحب والكره، وعلامة فارقة في استرجاع الإحساس الصادق المتمثل في الشعور باليأس من قسوة الحياة خاصة «حين رفضت نسيمة الرواسي، أن ترد على تحيته لوت رقبتها وكأنها تقول ابتعد عني»[2].

وسرعان ما ينتقل الروائي إلى إبراز العواقب التي يتركها الخمر من فقدان لقيم الحياة السعيدة وتشتت الأفكار وغياب الاستقرار النفسي نتيجة الشعور بالبأس والندم محاولا التغلغل في نفسية الشخصية الروائية للبحث في الجوانب المغيبة عن الواقع والمدركة من صاحبها فقط «دخل مروان المكاس خمارة الديك الرومي المرممة وعيناه القلقتان تبحثان عن كرسي شاغر، في الزاوية شبه المظلمة... غادرت زوجته البيت، خدعته ميرة التواقي التي رضيت في الزواج من ابن خالها»[3].

فكانت لحظة الصحوة والصفاء داخل الحانة انطلاقة جديدة لعذاب الضمير المتصل بالأنا، ولهذا كانت نهايته بالانتحار على سكة القطار فالخمر في الرواية هي عامل للهدم كما هي عامل للبناء لأن هدم القيم يتطلب المراجعة وإعادة البناء.

غياب الأمانة في المجتمع:

تعد الأمانة ذلك الشيء الثمين الذي يستوجب الحفظ والتقدير، وهي ذات ارتباط مباشر بالدين، وليست الأمانة قيمة مادية فقط، أو شيء ثمين له وزن وثمن وإنما هي تركة مادية أو معنوية، يعهد بها شخص لشخص آخر، مع توصية بحفظها وتبليغها لمن يستحقها، إذ يغير الوطن قمة الأمانة لما يحمله من أسس وركائز ويرتبط الحديث عن الأمانة في الكتابة الروائية عند "محمد مفلاح" بضياع الأمانة وتشتيت القيم بالفساد كأزمة أخلاقية في روايته. وبما أن الأمانة ترتبط بالوطن فإن "مفلاح" عبر عن وطنه المفجوع بأبنائه عن محنة أرضه وعن ألم يعتصر قلب بعض

[1] سقاية الموسم، ص: 65.

[2] المصدر نفسه، ص: ن.

[3] المصدر نفسه، ص: 70.

الفئات الغيورين على وطنهم. لم يدخل هو الآخر إلى باب الأمانة بطريقة مباشرة لكنه تغلغل فيها من خلال حديثه عن بعض القيم التي حملتها بعض المواضع والمواقف ومنها موقف أحد أبطال وهو نذار السقاية في وجه خليفة السقاط والحبيب الرواسي وهشام الكعام وغيرهم حيث يقول للسقاط: «عجيب أمرك كيف يسرك ما يحدث من دمار في بلادك»[1]، وليس هذا فحسب، بل إنه يقوم مدافعا عن موقف الشعب الذي «يريد التغيير الجذري، مل الوعود الكاذبة»[2]، تماما مثل ما يقف مدافعا عن شركة القطن والنسيج التي بدأت خيوط الخوصصة تحوم حولها بتواطؤ من جماعة السلطة والنفوذ، حيث يتهاون في فضح هذه السلوكيات حفاظا على الأمانة التي تسلمها ذات يوم، لقد كتب تقريرا مفصلا عن الشركة التي لم يختلف حالها عن حال الوطن الجريح، لأن هذه الشركة اختزلت كل الحقائق، وعبرت عما يحدث على هذه الأرض، فيقول الراوي: «قد كتب تقريرا مفصلا أرجع فيه أسباب إفلاس المؤسسة إلى قدم الآلات، وقلة الموارد المالية، وغلاء المواد الأولية وسوء التسيير والإهمال...»[3]. إن هذا الكلام الذي يقدمه النقابي دلالة على تردي القيم، وغياب الأخلاق وتفلت الروح الوطنية وكذلك غياب الشعور الحقيقي بالمسؤولية لعدم تهيئة الفرد لذلك الشعور، وهذا كله جعل الأمانة الصغرى التي هي الشركة تضيع وتضيع معها الأمانة الكبرى المتمثلة في الوطن بأكمله.

تعد الأمانة قيمة أخلاقية وتعد الأخلاق شيئا شكليا لا يرقى إلى درجة التقييم واحترام العامية لإعطاء البعد الانتمائي، وتقولب الفكر قبل الفهم إلى المتلقي.

لقد كشفت رواية (سقاية الموسم) الواقع الهش للأمانة في الوطن السياسي المتدني على الرغم من أنها محصورة في الوطن والوطنية والبلد والبلاد والحرية والحياة، فقد كان تأثير هذه المستجدات يؤثر على حركة البناء الديني والأخلاقي للقيم الجماعية.

---

[1] محمد مفلاح، سقاية الموسم، ص: 17.

[2] المصدر نفسه، ص: ن.

[3] المصدر نفسه، ص: ن.

الفصل الثالث:

أثر العولمة على المجتمع الجزائري

- العولمة وتكنولوجيا الإعلام والاتصال

-أثر وسائل الإعلام والاتصال على المجتمع الجزائري

1. التلفاز
2. الأنترنيت
3. الهاتف النقال
4. الإذاعة
5. الصحافة

تمهيد:

يثير مفهوم العولمة الكثير من النقاش والجدل ابتداء من التعريف بالمفهوم، فمصطلح العولمة مصطلح جديد في طرحه الآن في هذه المرحلة لكن التخطيط له كان في وقت مبكر، وهذا المصطلح يعني "عالمية العادات والقيم والثقافات لصالح العالم المتقدم اقتصاديا".

وبمعنى آخر: محاولة سيطرة قيم وعادات وثقافات العالم الغربي على بقية دول العالم، خاصة النامية منها بشكل يؤدي إلى خلط كافة الحضارات وإذابة خصائص المجتمعات، هذا بالإضافة إلى تهميش العقائد الدينية.[1]

يقول الدكتور عدنان الشخص: «إن العولمة هي ظاهرة الانتماء العالمي بمعناه العام، وهي تعبير مختصر عن مفاهيم عدة، فهي تشمل الخروج من الأطر المحدودة (الإقليمية والعنصرية والطائفية وغيرها) إلى الانتماء العالمي الأعم، ففي جانبها الاقتصادي تشمل الانفتاح التجاري وإلغاء القيود التجارية دون وجود إجراءات حمائية حكومية، وفي جانبها الفكري والثقافي هي الانفتاح الفكري على الآخر، وعدم الإغلاق على الذات، وفي جانبها السياسي شيوع تطبيق القانون على الجميع ومراعاة الحقوق السياسية للإنسان»[2].

وقد عقدت العديد من الندوات والمؤتمرات العلمية لمناقشة مصطلح العولمة وأبعاده الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، والذي يؤيده أصحاب التوجه الليبرالي، أو المعارضين لها من منطلق أنها أمريكية أو تصب في خانة الرأسمالية بين أصحاب التوجهات الليبرالية والماركسية، وللأسف لم نجد في العالمين العربي والإسلامي ندوة علمية منهجية من منظور إسلامي، فالعولمة كما يقول محمد عمارة: «لا تثمر اعتمادا متبادلا... ولا تثمر العالمية التي هي مطمع الشعوب

[1] سليمان بن صالح الخراشي، العولمة، دار النسبة، الرياض، 1419هـ، ط1، ص: 7.

[2] ينظر المرجع نفسه، ص: 08.

وأمل الحضارات ومغلب المستنيرين، إنما العولمة –من وجهة نظره– تثمر تزايد الخلل في علاقات الأقوياء بالمستضعفين الساعين إلى النهوض والانعتاق من مأزق التخلف والاستضعاف»[1].

نجد محمد مفلاح قد تناول هذا الموضوع في كتاباته نظرا لما شهده المجتمع من تحولات كبيرة، وعلى كل المستويات متوجه، فقد دار جدال بين "الهواري البني" وصديقه "بلوم" فقد كان "الهواري البني" من المعارضين، ويرى المبشرون بالعولمة "بلوم" أشبه بحال المثقف المعطل عن العمل، حيث يقول: «كل شيء أصبح في حياتكم عاديا جدا... استطاعوا تعديلكم حتى أصبحتم كالطريق السيار، هه»[2]، فقد كانت له نظرة تشاؤمية حول الحياة والسلطة والأشخاص، لم يخف سخطه على العهد الجديد الذي كان يسميه ب(عهد العولمة المتوحشة)، ولقد اعتبر المفكر الياباني "فوكومايا" أن نهاية الشيوعية وسقوط الاتحاد السوفياتي بحماية للتاريخ بانتصار الرأسمالية، وهذا ما ورد في حوار "بلوم" مع "الهواري البني" حيث قال "بلوم": «سقط جدار برلين وانهار الاتحاد السوفياتي وأنت لا زلت تحلم بعودة لينين»[3]، فقد كان "بلوم" من المؤيدين لأصحاب التوجه الليبرالي على عكس صديقه "الهواري البني" الذي كان من المعارضين من منطلق أنها أمركة تصب في خانة الرأسمالية.

فالعولمة هي أساس نتاج انهيار نظام عالمي كان يقوم على القطبية الثنائية بانهيار أحد أقطاب النظام وهو الاتحاد السوفياتي، وبانتهاء الحرب الباردة وسيادة قطب واحد «أحد يسيطر على هذا العالم سياسيا وعسكريا، الأمر الذي أحدث هوة عميقة في المنظومة السياسية العالمية»[4]، فالروائي محمد مفلاح يسلط الضوء على هذا الاتجاه من خلال توظيفه لشخصية "امحمد شعبان" في حواره مع والده أثناء مشاهدتهما للتلفاز فيقول والده:«أرأيت ما يجري في سوريا واليمن وليبيا... نهاية العالم العربي.

---

[1] سليمان بن صالح الخراشي، العولمة، ص: 13.

[2] محمد مفلاح، سفر السالكين، ص: 20.

[3] المرجع نفسه، ن ص.

[4] سليمان بن صالح الخراشي، العولمة، ص: 15.

لا إله إلا الله محمد رسول الله. يقتل الأطفال والنساء والشيوخ، ونحن عرب الزمان ماتت قلوبنا!

تمتم أمحمد شعبان

أصبحنا في هامش التاريخ

دخلنا عصرا جديدا ولكننا لم نفهم روحه، تخلفنا عن ركب الأمم المتحظرة، أمريكا تحرك العرب كالدمى»[1].

فهو يرى أنها نظام جديد يعم بالفوضى دولا تفككت وانتهاك لحقوق الإنسان والحرية والديمقراطية، ومذابح ضد الإنسان.

العولمة وتكنولوجيا الإعلام والاتصال:

تستخدم قوى العولمة الإمبراطورية الإعلامية الضخمة التي يملكها في فرض العولمة والسيطرة وتحقيق الأهداف في مجتمع الإعلام العالمي، "فالإعلام العالمي من مؤسسات احتكارية إعلامية وسلاسل إعلامية تمتلك كل الوسائل التقنية من أقمار صناعية وشبكات اتصالات حولت العالم إلى قرية صغيرة متواصلة وشبكة الإنترنيت، وثورة المعلومات التي حولت العالم إلى شيء صغير متصل"[2]، ففي رواية (انكسار) ل"محمد مفلاح" نجد شخصية "بغداد البخلوفي" يرى نفسه غريبا في مدينته التي أصبحت تعيش على وقع الفضائيات والأنترنيت والهواتف المحمولة حيث يقول الراوي: «ظل مهتما بما تنشره الجرائد ومواقع الإنترنيت عن الحياة السياسية في البلاد وخارجها وبخاصة في فرنسا وأمريكا»[3]، أي أن الإعلام حول العالم قرية صغيرة على الرغم من بعد المسافة إلا أننا على علم بما يدور حول العالم، "لقد أعطت التحولات التي أتت بها العولمة للإعلام بعدا أكثر اتساعا حيث أثبت الإعلام بتقنياته الهائلة في السياسة والاقتصاد والفكر والفن والثقافة بل هو محورها ومعرضها، وعلى هذه الدلالات كان له الجبروت في تشكيل المعرفة وخلق المعايير الجديدة

[1] محمد مفلاح، شبح الكليدوني، ص: 28-29.

[2] المؤتمر العلمي الدولي السنوي الرابع لكلية الشريعة، وسائل التواصل الاجتماعي وأثرها على المجتمع، نظرة اجتماعية قانونية، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2014، د ص.

[3] محمد مفلاح، الانكسار، ص: 14.

في تنظيم أنظمة القيم التقليدية السابقة"[1]، أي أن العولمة الإعلامية قضت على كل التقاليد والقيم السابقة حيث حاولت طمس الهوية الثقافية والاجتماعية، حيث يرى "بغداد البخلوفي" لا حاجة له بالكتاب في عهد الفضائيات والإنترنيت، فقد دار حوار بين "الشيخ المحامدي" و"عباس" فقال "ألشيخ": «لقد تغير الزمن، لم يعد لكم أي ارتباط بماضي الأجداد

-هذا زمن الفضائيات والعولمة يا عمي سعيد

-هذا زمن العمى، مصيبة الفضائيات انتشرت في كل المناطق.

-دمرت الفضائيات كل تقاليدنا»[2]، "ولقد استطاع الإعلام في عصر العولمة أن يجبر الدول على الاهتمام بقضايا ومشكلات وضلت إلى وقت قريب بعيدة عن اهتماماتنا كقضايا حقوق الإنسان، ومشكلة الأقليات، والتمييز العنصري".[3]

وهذا ما يحيله "مفلاح" في عمله الروائي في المقطع السردي: «وركز عباس نظره في الشاشة الصغيرة التي ظهر عليها وجه مقدم النشرة سمع كلاما كثيرا عن العالم العربي وفلسطين الجريحة، والعراق المدمر، والخليج الثري، وأفغانستان المفككة».

إن العولمة الإعلامية ما هي إلا صورة تعكس الغرب الموصول ببعض النماذج السياحية والثقافية عبر وسائل الإعلام والاتصال التكنولوجي الحديث.

وكان ميدان تكنولوجيا الاتصال والمعلومات من أكثر الميادين تسارعا في التطور بل أنه كان الجانب الأهم والأكثر إثارة من جوانب الثورة التكونولوجية جميعها.

ويعرف إعلام العولمة بأنه سلطة تكنولوجية، "وأن تكنولوجيا الاتصال المتقدمة هي الحقيقة المؤكدة في هذا العصر، لكن المؤكد أن هذه التكنولوجيات كمستلزمات صناعية مازالت حكرا على الدول المتقدمة"[4]، وهذا ما نجده في المقطع السردي «فكرت أن أشتري هاتفا محمولا في الزمن

---

[1] سليمان بن صالح الخراشي، العولمة، ص: 20.

[2] محمد مفلاح، الانكسار، ص: 61-62.

[3] المرجع نفسه، ص: 58.

[4] أنطوان بطرس، الإنترنيت شبكة تحتوي العالم: في كتاب حضارة الحاسوب والإنترنيت، الكتاب العربي، 2000، ص: 19.

الرمادي الذي كثرت فيه الثرثرة، أصبحت ساخطا على كل الوسائل الإعلامية الجديدة التي تستغلها أمريكا الإمبريالية لنشر سمومها بعدما دمرت بعملائها الفاسدين في كل الدول المتقدمة»[1].

أثر وسائل الإعلام والاتصال على المجتمع الجزائري:

يعيش المجتمع الجزائري بين واقعين مختلفين واقع التنشئة الاجتماعية التقليدية كالأسرة، والزوايا والمساجد، وواقع حداثي نوعان وسائل الإعلام والاتصال والميديا الجديدة "وكما أن استخدام الأفراد لتكنولوجيا الإعلام والاتصال يؤدي إلى تحويل وتغيير القيم الأصيلة للمجتمع الجزائري"[2].

لقد صار واقع المجتمع الجزائري محاصرا بين فئتين مختلفتين فئة منفتحة على ثقافة الآخر تعتمد على الاستخدام الكثيف لتكنولوجيا الإعلام والاتصال لإشباع رغبات معينة وبالتالي إنتاج قيم جديدة، وفئة أخرى محافظة، تنظر إلى كل ما هو قادم من وراء البحار "إذ تعتبر وسائل الإعلام والاتصال من مصادر القيم حيث تساهم من خلال تكنولوجياتها الحديثة في ترسيخ وصناعة وتغيير وإلغاء لمجموع القيم الخاصة بالأفراد، وذلك من خلال محتوياتها وموادها الإعلامية المنشودة سواء على الفضائيات التلفزيونية أو من خلال الأنترنيت أو وسائل التواصل الاجتماعي"[3].

التلفاز:

يشكل التلفزيون أحد أهم الوسائل الإعلامية بالرغم من الانتشار الواسع للتكنولوجيا الحديثة للإعلام والاتصال، إن التلفزيون قد حافظ على مكانته وجمهوره مقارنة بالراديو والصحيفة، وهو أهم وسيلة اتصال عن طريق الصوت والصورة، يقيد عقل المشاهد من خلال الصورة الواقعية

---

[1] محمد مفلاح، سفر السالكين، ص: 52.

[2] موريس أنجرس، منهجية البحث في العلوم الإنسانية، ترجمة بوزيد صحراوي، دار القصبة للنشر، حيدرة، الجزائر، ط1، 2004، ص: 150.

[3] نصير بوعلي، الإعلام والقيم، قراءة في نطوية المفكر الجزائري عبد الرحمان غوي، دار الهدى، الجزائر، ط1، 2005، ص: 43.

فهو أهم وأخطر وسيلة إعلامية وأولها من حيث جلب الانتباه والاستعمال، وهو مصدر معلومات حسب "جورج روفي دولاج" «إن التلفزيون كان أحادي الاتجاه فكان عبارة عن جهاز بث واحد وملايين المشاهدين، أما تلفزيون الغد فسيعكس الوضع إذ ستكون به آلاف المصادر وجهاز استقبال واحد وقع قناة نقل مثالية ومي الكابل»[1].

إن التلفزيون الجزائري الوطني هو جزائري من حيث الوسيلة فقط بينما من حيث المضمون فلا زال بعيدا، فهو يساهم في تكديس القيم الغربية وتفكك ترابط الأطفال سريعي التأثير من مظاهر القمارة والعنف، وهما يشكلان شريحة كبيرة من المجتمع.

إن للتلفاز مكانته الاجتماعية التي تحدد القضايا المطروحة والتي تشكل أهمية كبيرة في المجتمع، وذلك من خلال التعرف على القيم والمواقف والاتجاهات نحو البرامج الاجتماعية والعوامل الفنية التي تساهم في نجاح البرنامج وتطوير أدائهم للأفضل مهنيا وعلميا، فالبرامج الاجتماعية في الفضائيات الجزائرية تعتني بالقضايا والمشكلات النفسية والاجتماعية، فلا توجد أسرة جزائرية تخلوا من جهاز التلفاز "فلو قارنا الأسرة القديمة والحديثة للفت انتباهنا في مجال التأثيث المنزلي، فنجد عند الأسرة القديمة أنه كانت تعتمد في تأثيثها على أثاث تقليدي من اللوح والخشب والبلاط وغيرها من الأثاث المزركش الجميل، أما عند الأسرة الحديثة تعتمد على تأثيثها بأحدث التكنولوجيات القديمة، إذ تتميز الأسرة القديمة بنوع من الدفئ وحنان الجدة وحكاياتها الجميلة، وأصبح التلفزيون هو الحاكي، والأسرة ملتفون حوله"[2]، و"ذكر اللحظات الجميلة التي قضاها فويما وهي تروي له الحكايات الغريبة ومنها لونجة بنت الغول... كان صوت جدته العميق ينفذ

[1] جوليان سيلفي كوداري، تقنيات الاتصال الحديثة، توجيهات وبحوث، ترجمة صالح العيلي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1993، ص: 24.

[2] المؤتمر العلمي الدولي السنوي الرابع لكلية الشريعة، وسائل التواصل الاجتماعي وأثرها على المجتمع، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2014.

كالسحر في روحه، ولقد مضى زمن البراءة والحكايات السحرية التي طمستها القنوات الفضائية الشرسة"[1].

أصبحت القنوات التلفزيونية هي المسيطرة على الجو العائلي الدافئ بحيث أصبح هذا الجهاز يسرق الكلام م من كل أفراد العائلة إذ كل واحد يغوص في البرامج المتلفزة.

لقد كان التلفزيون محط لإصلاح هيكلي في مضمون برامجه وينفتح أكثر فأكثر إلى فضاءات أوسع وإلى عامة الناس، وأن يكرس التعاون والتبادل والشراكة، وأن يعتمد على الحوار في عصر التكتلات الدولية والإقليمية في زمن العولمة، وهذا هو أكبر التحديات المفروضة على الإعلاميين عامة.[2]

إن أفراد المجتمع الجزائري يشاهدون يوميا برامج التلفزة الوطنية لكن الكثافة تبقى دائما لصالح القنوات الأجنبية، حيث تستقطب التلفزة الجزائرية مدة المشاهدة لفترة قصيرة بينما القنوات الأجنبية لمدة أطول[3]، "وضغط على الزر الآمر عن بعد، فظهرت صورة كبيرة على شاشة التلفزة ذات الحجم الكبير، ثم رأى رجلا يغني بميوعة كبيره كرهه، ونقل إلى القناة الأرضية الجزائرية، فوجدها تعرض صورا مهولة، ثم انتقل إلى فضائية عربية، كانت تبث أغاني كليب الراقصة".[4]

انتشر التلفزيون جغرافيا وشعبيا وزاد حجم البث، في وقت أصبح الجمهور الجزائري يطالب أكثر من هذه السلعة الاستهلاكية الإعلامية كما ونوعا من هذه التلفزة التي سميت اليتيمة، للدلالة على عدم استطاعة تبديلها واللجوء إلى قنوات أجنبية[5]،"وهو يتفرج على أخبار اليوم التي كانت تبثها القناة الجزائرية ألرضية لا جديد فيها شاهد وزير قطاعه في مهرجان وطني"[6].

---

[1] محمد مفلاح، شبح الكليدوني، ص: 42.

[2] دال فضيلة، التلفزيون والجالية العربية بفرنسا، مجلة الشاشة الصغيرة، الجزائر.

[3] جيلالي بلوفة عبد القادر، الإعلام المرئي الجزائري في ظل العولمة، جامعة تلمسان، جوان 2005، ص: 9.

[4] محمد مفلاح، انكسار، ص: 56.

[5] ينظر جيلالي بلوفة عبد القادر، الإعلام المرئي الجزائري في ظل العولمة، ص: 48.

[6] محمد مفلاح، شبح الكليدوني، ص: 44.

بفضل الجمهور العتبة في علاقته مع التلفزيون الجزائري، البرنامج الوطني الذي محتواه الوطني، أو الذي في محتواه يقترب في الإطار الحضاري والثقافي للمجتمع الذي ينتمي إليه، فهو يدعو إلى المزيد من الإنتاج الوطني وبفضل الحصص الوطنية، "الحديث في فضائياتنا الوطنية لا ينتهي وقد خصصت برامج كثيرة لمناقشة مرحلة ما بعد البترول"[1].

ظهرت في الآونة الأخيرة الكثير من وسائل التواصل الحديثة نتيجة الثورة التكنولوجية والتي بدورها تقرب المسافات بين الأفراد منها وذلك مما جعل العالم قرية صغيرة.

الإنترنيت: يعد الإنترنيت أحد التقنيات الاتصالية التي عرفها العلم خلال العقدين الماضيين حيث استطاعت الشبكة بما تملكه من سمات اتصالية وتقنية متميزة أن تقلب المفاهيم المكانية والزمانية للإنتاج والتطبيقات الإعلامية في العالم سمحت لمستخدميها الاختيار بحرية ما يريدون من خدمات اتصالية تتلاءم وحاجاتهم، ونتيجة الاعتماد المتزايد على شبكة الإنترنيت باعتبارها الأحدث والأكثر تناميا في مجال الاتصال اهتم الباحثون المختصرة في مجال الاتصال الجماهيري بدراسة الإنترنيت[2]، واشتق اسم الانترنيت من الكلمة الإنجليزية (NET) التي تعني الشبكة، وهي مفردة صارت لها دلالات الخاصة بالارتباط مع تكنولوجيا المعلومات حيث صارت تعني شبكة المعلومات أو شبكة إذاعي أو تلفازي[3]، وتعني الترابط بين الشبكات وتعود نشاتها إلى عام 1969م عندما طرحت وزارة الدفاع الأمريكية مشروعا تجريبيا لشبكة موثوقة تهدف إلى ربط الوزارات بالشبكات المتعاقدة للبحوث العسكرية بدأت عام 1973 عندما نجح العالمان (فتتون كرفت) و(روبرت كان) في ربط الحواسيب الإلكترونية ببعضها مع بعض عبر خطوط تلفونية، وأصبح بالإمكان تبادل المعلومات المختزنة في ذاكرة كل منها، وكانت العلاقة الأكثر بروزا في نشأة شبكات الانترنيت في

[1] محمد مفلاح، شبح الكليدوني، ص: 72.

[2] فارس حسن شكر البكري، صحافة الإنترنيت- دراسة تحليلية للصحف الإلكترونية بالفضائيات الإخبارية العربية، نت نموذجا، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب والعربية، الأكاديمية العربية المفتوحة في الدانمرك، 2007م، ص: 26.

[3] ناطق خلوصي، الانترنيت شبكة معلومات العالم، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، 1999م، الموسوعة الصغيرة، العدد 425، ص: 10.

عام 1988م عندما فكر الباحثون في مؤسسة سيرن الأمريكية بربط شبكة الحواسيب على مستوى الولايات المتحدة الأمريكية المتحدة وسميت هذه بالبيئة الميلادية للانترنيت.[1]

فالانترنيت لا يقتصر على اعتبارها مجرد شبكة حاسبات، حيث أن هناك جانب اجتماعي يربط بالناس وحياتهم واهتمامهم، فهي تمح لملاين البشر في مختلف أرجاء الأرض بالاتصالات عن طريق تبادل الرسائل وإجراء المحادثات المقروءة والمسموعة، وكذلك المساهمة في مجموعات مناقشة.[2]

فمع تطور وسائل الاتصالات الحديثة أصبح العالم قرية صغيرة يمكن التواصل بين أهلها والتأثير فيهم بسهولة ويسر، فلا يمكن لأي بلد في هذا العصر أن يعيش معزولا عن التطورات التقنية المتسارعة، والآثار الناجمة عنها من هنا كان لابد من التواصل الإلكتروني خصوصا في ظل ارتباط العالم ببعضه بعضا عبر تقنيات المعلومات والاتصالات والتطبيقات التي سمحت بانسياب الأموال والسلع والخدمات والأفكار بين مستخدمي التقنيات.

كذلك فإن التواصل الإلكتروني يؤثر على أدوار الآخرين وأفكارهم فيبادلون المعلومات، وهذا ما سعاد على القضاء على مركزية وسائل الإعلام والاتصال في نشر البيانات فلم يعد يرتبط الناس بوسائل الإعلام من خلال جغرافية فقط وإنما سيرتبطون معا من خلال اهتماماتهم المشتركة وهذا ما ساعد في زوال الفروق التقليدية بين وسائل نشر المعلومات المتمثلة في الصحف، الكتب، المجلات، حيث أصبح مضمون أي وسيلة منها عن طريق التواصل الإلكتروني متاحا ومشاعا في الوسائل الأخرى جميعها بأشكال وأساليب متطورة.[3]

---

[1] يحي عمر الريشاوي، الهيمنة الإعلامية في ظل العولمة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 2007، ص: 163.

[2] عبد الوهاب مصطفى رضا وآخرون، الانترنيت طريق المعلومات السريع، دط، مطابع المكتب المصري الحديث، دم، دس، ص: 17-18.

[3] محمد أحمد حسين، الضوابط الشرعية لاستخدام وسائل التواصل الحديثة، وسائل التواصل الاجتماعي وأثرها على المجتمع، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2014، رعاة المؤتمر، شركة عفيف شقر وأولاده، مكتب المنار الهندسي، ص: 56.

وإن كلمة الانترنيت تعني كما يظن البعض International Network أي العالمية إلا أنها في الحقيقة تعني IntercomnexioNetwok الترابط بين الشبكات. إن تعريف الانترنيت بشكل دقيق يبدو صعبا للغاية لأن هذا التعريف يعتمد على طبيعة عمل الشخص الذي يريد تعريفها، فاختصاصي المكتبات سوف يعطيها تعريفا يختلف عن التعريف الذي سيعطيه مهندس في المعلوماتية، ولو نظرنا إلى مجالات استخدام شبكة الانترنيت بوجدنا أنها شبكة اتصالات يمكن استخدامها في إرسال واستقبال البريد الإلكتروني E.Mail[1]، كما يمكن استخدامها لعقد اجتماعات عن بعد واستخدامها في نقل الملفات وتبادل المعلومات والبرامج، وتسمح أيضا باستخدامها لتبادل الآراء وبحث موضوع ذو اهتمام مشترك بين مجموعة من المستفيدين عبر البريد الإلكتروني، ويمكننا القول أن الانترنيت هي شبكة اتصالات يمكن أن تربط العالم كله وتساعد في إجراء الاتصالات بين الأفراد والمجتمعات لتبادل الخبرات المهنية والتقنية كما تفيد في عملية التعليم عن بعد وتضاعف إمكانية الاستفادة من مصادر المعلومات المتوافرة على الحواسيب المرتبطة بها.[2]

ففي الجزائر نجد استخدام الانترنيت بكثرة لسهولة استعماله، ف"محمد مفلاح" واحد من مستخدمي الانترنيت "جمعت معلومات كثيرة سجلتها في أوراق بيضاء بواسطة جهاز الحاسوب الذي اشتريته منذ أكثر من سنة واحدة من محل مقران، لم أعد اليوم متخوفا من الحاسوب الذي دخل البيوت تحت ضغط الأطفال والشبان، لقد زاد اهتمام الناس بعالم الانترنيت وخاصة بهذا الفايسبوك الذي احتل عقولهم وحيّر نفوسهم"[3].

فالانترنيت من المبادئ الأساسية لرفع مستوى الابتكارات والاختراعات إلا أنها في المقابل ابتدعت علوما ضارة واخترعت ابتكارات ضارة مخربة للأخلاق ومفسدة للإنسان أيضا.

---

[1] عبد الرضا النجار، مقال حول الانترنيت، مجلة الإذاعات العربية، العدد 4، اتحاد إذاعات الدول العربية، تونس، 1988م، ص: 48.

[2] باسم محمود شاكر، البث الفضائي الوافد وتأثيره على الأمن القومي، رسالة ماجستير غير منشورة، بغداد، جامعة المستنصرية، 2000م، ص: 49-50.

[3] محمد مفلاح، سفر السالكين رواية، دار الكوثر، ط1، 2014، ص: 77.

إن التواصل الإلكتروني هو عملية لتبادل الخبرات والأفكار والمعلومات عبر شبكة الانترنيت من خلال المواقع والتطبيقات العملية لشبكة الانترنيت مثل:

الهاتف النقال: من بين وسائل الاتصال الحديثة التي عرفها الإنسان من خلال انتشارها الواسع في المجتمع، في القرن الواحد والعشرين[1]، الهاتف النقال أو الهاتف المحمول أو الخلوي الذي يعتبر من إحدى نتائج ثورة الاتصالات اللاسلكية، والذي اختلفت أنواعه وأشكاله وأحجامه وألوانه ولكن هذا لا يمنع من وجود خاصية مشتركة تتمثل في مكان الفرد من الاستفادة من خدمات الهاتف المتواصلة، ونجد عدة تعريفات منها:

الهاتف النقال هو عبارة عن جهاز استقبال يستخدم موجات الراديو ويسمح بوصول الإشارة إلى المتلقي في منطقة جغرافية تسمى الخلية CELL، ثم يتم نقل هذه الإشارة المستقبلة إلى شبكة التلفونات المركزية[2]، وهذا النظام التقني سمح بحمل الهاتف النقال في كل مكان يعد نشر شبكات مركزية في جميع المناطق، وأصبح الفرد بإمكانه إرسال إشارات صوتية إلى أي فرد إلى جانب ذلك أنواع أخرى من الإشارات مثل كتابة الحروف، الصور، وهنا تطورت أشكال الاتصال الشخصية، بفضل هذه الأداة الاتصالية التي ترتكز أساسا على تقنيات الاتصال اللاسلكي، وللتوضيح أكثر تعتمد على مجموعة من أبراج البث الموزعة في مساحات معينة وبفضل التنافس الشديد بين مشغلي أجهزة الهاتف النقال أصبحت تكلفة المكالمات وتبادل المعطيات في متناول الجميع لذا فإن عدد مستخدمي هذه الأجهزة في العالم يتزايد بشكل سريع ليحل محل الأجهزة الثابتة، كما يعتمد الهاتف النقال أساسا على إشارات ذبذبة، تصاعدية وتنازلية بسرعة قوية جدا تصل إلى MZ20 إرسالا واستقبالا في الثانية الواحدة.

الاتصال داخل الأسرة مهم جدا، ليخلق مبدأ الاهتمام واحترام رأي الآخرين، كذلك إدراك حاجاتهم ورغباتهم، فبدونه ستصبح الحياة الأسرية أكثر صعوبة.

---

[1] حسن عماد مكاوي، تكنولوجيا الاتصال في عصر العولمة، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2003، ص: 222.

[2] المرجع نفسه، ص: 223.

الاتصال والتواصل قديم قدم العلاقات الإنسانية نفسها، والاتصال عملية تتم في كل وقت والكل يساهم ويشارك فيها، ويمكن القول بأن الاتصال يعد من أساسيات الحياة للأفراد والمجتمعات فلا يستطيع أي إنسان أن يعيش بمعزل عن الآخرين دون أن يتصل بهم، خاصة في هذا العصر.

منذ وجد الإنسان على البسيطة –الأرض- وهو يتحرك بمحركات تحركه منها محرك القيم حيث يحدد علاقاته مع غيره من بني جنسه، وقد يكتسب الفرد قيمة من الأسرة ثم المدرسة ثم المجتمع في الماضي، وأصبحت هناك بدائل لهذه المؤسسات الاجتماعية وخاصة الجزائرية منها.

احتكت الجزائر كغيرها من دول العالم بالتكنولوجيا الحديثة التي شهدت تطورا مذهلا من بينها تقنية الهاتف النقال أو ما يعرف بنظام GSM System for Mobile Global Communication، وقد أعلنت وزارة البريد والمواصلات سابقا سنة 1999 عن ميلاد التقنية الجديدة للهاتف النقال GSM في الجزائر، لتبدأ الانطلاقة الفعلية للاتصالات الجزائرية اللاسلكية، ولكن ومع عجز الوزارة في التحكم في التكنولوجيا الدقيقة للهاتف النقال ومصاريفها الباهضة تم فتح سوق الاتصالات السلكية واللاسلكية للمنافسة المحلية والأجنبية قصد إصلاحه وإعطائه صبغة جديدة تتماشى والتطورات التي شهدتها تكنولوجيا الإعلام والاتصال في العالم، كما بلغ عدد المشتركين في شبكة الهاتف النقال خلال سنة 2011 حوالي 35,2 مليون مشترك، مما يمثل ارتفاعا ب2,5 مليون مشترك مقارنة بنسبة 2010، وحسب هيئة الاتصالات السلكية واللاسلكية فقد تم تسجيل مجموع 25,228 مليون زبون إلى غاية نوفمبر 2011[1]، «لم يشأ أن يحدثها عن

[1] الهاشمي بن وضاح، تأثير متغيرات البيئة الخارجية على أداء المؤسسات الاقتصادية الجزائرية، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم الاقتصادية، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، جامعة فرحات عباس، سطيف، 2013-2014، ص: 245.

مكالمته الهاتفية»[1]، فمنه نجد المجتمع الجزائري واحدة من المجتمعات الأكثر استخداما للهاتف النقال «قد تكون صاحبة المكالمة الهاتفية من الراغبات في تدميره»[2].

تعتبر الإذاعة أو (الراديو) وسيلة إعلام تؤدي كغيرها من وسائل الإعلام الأخرى دوراً حيويا في حياة الناس خاصة إنسان هذا العصر، عصر ثورة المعلومات والاتصالات حيث أصبح بإمكان الفرد استخدام حقه الطبيعي في استفاء المعلومات والأفكار عن طريق أي وسيلة حتى يتمكن من معرفة ما يدور في بيئته وفي البيئات الأخرى المحيطة به في العالم أجمع وفي نفس الوقت تحول العالم إلى قرية عالمية بفضل وسائل الإعلام.

الإذاعة: يمكن تعريفها بأنها الانتشار المنظم للأخبار، والمقصود بواسطة مواد إخبارية وثقافية وتعليمية وتجارية وطبية وغيرها من البرامج ليلتقطها في وقت واحد المستمعون المنتشرون في شتى أنحاء العالم فرادى وجماعات باستخدام أجهزة الاستقبال المناسبة.[3]

تعد الإذاعة من أهم الوسائل الصوتية المسموعة كانت لها الصدارة من بين وسائل الإعلام الأخرى، وكان ذلك قبل ظهور التلفاز الذي أخذ هذه المرتبة وبعد ذلك جاء عصر الفضائيات والانترنيت الآن ولا ندري ماذا سيأتي بعد ذلك، لكن الإذاعة ما تزال أحد الوسائل الهامة واسعة الانتشار.

وهي تهدف بشكل أساسي إلى مخاطبة الجمهور الواسع المتباين وتتعدد أنواعها فمنها الحكومي التابع للدولة ومنها الأهلي الحزبي ومنها تتخصص في مجالات معينة من مجالات المعرفة (الإنسانية، الرياضية، الاجتماعية، الإخبارية (BBC)، الطبية).

من وظائف الإذاعة الرئيسية بجانب الأخبار هي التسلية فهي تقوم بتسلية مستمعيها والترفيه عنهم عن طريق الأغاني والمنولوجات والبرامج الترفيهية والأغاني الخفيفة ونقل المسرحيات وتقديم المسلسلات والاحتفالات الرسمية والمباريات الرياضية والحفلات...إلخ، وذلك فضلا عن

[1] محمد مفلاح، انكسار، ص: 28.

[2] المصدر نفسه، ص: 52.

[3] مصطفى أحمد كناكر، متاح على www.kanker.com/ 2011/11/14م

المسابقات وغيرها الكثير من البرامج الترفيهية ويجب عليها نقل ذلك أن تحرص على احترام قواعد أساسية وهامة حتى تستطيع الارتفاع بمستوى المستمع والثقافي والأخلاقي.

ولن تستطيع الوسائل الإلكترونية أن تؤثر على وجود الراديو ولا أن تقلل من دوره، وإن وقعت المنافسة فقد ظل ثابتا في مكانه قادرا على الحركة والتجوال فأنت تجده في العربة والتجوال داخل المدينة والقرية بخلاف التلفاز، والآن يمكنك أن تجده في جوالك والهاتف السيار عبر ال(ق.ا.م)[1].

إن راديو الجزائر هو عبارة عن منظمة إذاعية فرنسية مقامة في الجزائر منذ عشرات السنين، بمعنى آخر صدى لمحطة البث الفرنسية بباريس، تعتبر قبل كل شيء جهاز للراديو فقد كانت أجهزة الراديو موجودة قبل عام 1945 بنسبة 90%.[2]

كانت جبهة التحرير الوطني تدرك أهمية الإعلام ودوره في المعركة التحريرية، وأن نجاح الثورة يتوقف إلى حد كبير على الكفاح المسلح أولا ثم على التنظيم السياسي ثانيا.[3]

«كدت أنسى طيب المشلح حتى كانت اللحظة التي سمعت فيها ابنه الوحيد الهاشمي وهو يتحدث عنه في الإذاعة، وقد أهدى إلى المنشط الإذاعي نسخة من تسجيل قديم يحتوي على الأغاني أداها والده في الأعراس والحفلات والإذاعة، أردت الاتصال به للحصول على نسخة من هذا التسجيل بعدما فشلت في مساعي مع الإذاعة»[4]، وهذا ما يبين بأن الأسر الجزائرية من مستخدمي الإذاعة.

الصحافة:

يعتبر الإعلام الموجه الحقيقي للدولة في المفهوم الحديث، ولذلك ارتكزت الحروب المعاصرة والتي تقودها الدول المتقدمة بالولايات المتحدة الأمريكية على النجاح الإعلامي أو ما يسمى

---

[1] علي محمد شمو، الاتصال الدولي والتكنولوجيا الحديثة، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، الخرطوم، 2002م، ص: 85-86.

[2] فرانز فانون، سوسيولوجية ثورة، ترجمة ترذوقان قرقوط، ط1، بيروت، دار الطليعة، 1970م، ص: 63.

[3] أحسن بومادي، إستراتيجية الثورة الجزائرية في التجنيد والتعبئة الجماهيرية منذ اندلا ع الثورة إلى غاية مؤتمر الصومام، ملتقى الإعلام ومهامه أثناء الثورة، الجزائر، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، ص: 46.

[4] محمد مفلاح، سفر السالكين، ص: 34.

بالحرب الإعلامية، ففي البيئة الجزائرية جاء الإعلام موجها لخدمة أغراض متعددة منها ما ارتبط بالسلطة ومنها ما ارتبط بالمجتمع ومنها ما ارتبط بالدين وذلك على اختلاف المرحلة، ففي العشرية السوداء وما جاء وراءها نجد أن الدولة الإعلامية كانت ترمز إلى تكميم الأفواه وقتل الأصوات وتوجيهه في الوجهة التي يراها السيد هي الأمثل.

إن مهنة الصحافة صارت تعني الموت الحتمي، وأما الخبر فقد ارتبط بالمعاناة والقتل والتهميش والفساد والرشوة والحرقة وغيرها من عذابات المجتمع، وقد وصل الحال ببعض الروائيين إلى حد الاندماج في نوعية الكتابة الصحافية من خلال توظيف الأسلوب الصحفي في اختيار الشخصيات الصحفية.

يعتبر الصحفي أحد أبرز الشرائح الاجتماعية التي وقع عليها عنف الواقع وعنف التغيير، تقول سعاد العنزي: «بالفعل كانت الأعمال الروائية في نسبة كبيرة منها تميل للتقريرية المباشرة وصورة المضي تكررت بها كثيرا لدوره الحساس في كشف أعمال العنف الواقعة على الشعب الجزائري، ولكن هذا لا يمنع أن الرواية الجزائرية التي عاصرت أفعال العنف ودونتها هي وإن حرمت من فنيتها فلم تعدم من الطرح الجيد والتعمق في مسببات العنف وصوره وأشكاله وصولا إلى تجلياته وأثره على كافة شرائح المجتمع الجزائري، وإن كان الصحفي أبرز من وقع عليه العنف، فإن المرأة والشيخ والطفل والأسرة الجزائرية برمتها وقعت تحت وطأة العنف في المتون الروائية»[1].

وقد حملت الطبعة الإعلامية بعدا تقييميا للحصيلة الاجتماعية الجزائرية كما مثلت شاهدا فاعلا في إبراز الوضعية الاجتماعية العميقة وتحولت مهمة الصحفي من نقل الأخبار المتنوعة إلى نقل يومي لمشاهد القتل والتنكيل فصار الصحفي لا يحكي إلا عمن قتل؟ ومن قتل؟ وأين قتل؟

وقد استحضر الروائي "محمد مفلاح" الحضور الإعلامي في رواية (سقاية الموسم) للتعبير عن علاقة الصحفي برجال المال والسلطة كما أبرز أن الإعلام لم يعد دوره في بث الأخبار المؤلمة التي تبرز واقعا مؤلما مأساويا حيث الموت والدموع والفساد السياسي والأخلاقي، ولهذا جاءت

[1] 11:30 www.arwat.elchanal.com.24/9/2016

صحيفة الربوة لتعبر عن نوع من الألم يتجاوز القتل الذي ساد العشرية السوداء، كما يتجاوز الحرقة التي جاءت متزامنة معها. لقد تنوعت الأزمات في المجتمع وتنوعت معها أشكال الألم والدموع: «نسيمة الرواسي مدت يدها إلى جريدة الربوة، اهتمت كثيرا بصفحة المجتمع فقرأت منها خبر الطالبة الجامعية التي ألقت بنفسها من على جسر وادي منه، تمنت لو عرفت الأسباب الحقيقية التي دفعت الفتاة للانتحار»[1]، كما يوجد في الرواية أيضا معاناة الصحافة والصحفي أمام رجال المال والسياسة، مثلما هو حال الصحفي جمال الكشاني مع خليفة السقاط صاحب المال والنفوذ، حيث يقول الأخير: «أنت صحفي ولكنك لا تعرف ما يجري في المدينة، لم أقرأ لك شيء من لجنة التفتيش، في تسيير شؤون البلدية، الوقت مناسب لنشر فضائح الفاسدين»[2].

إن الصحفي يجد في نفسه في صراعات كبيرة وتهديدات متتالية لذلك فهو دائما في أزمة نفسية وصراع داخلي بين الوطنية واللاوطنية، وبين الأمانة والخيانة، وفي هذه الرواية وظف مفلاح شخصية قوية لتمثيل دور الصحفي الذي يتخذى كل الفئات الفاسدة، حيث نجده يتحدى السقاط: «سأكتب عند لجنة التفتيش، كما سأكتب عن لجنة التحقيق في أموال الدعم الفلاحي»[3].

لقد مثل الإعلام وسيلة للتهديد وكشف الحقائق في هذه الرواية.

[1] محمد مفلاح، سقاية الموسم، ص: 19.
[2] المصدر نفسه، ص: 72.
[3] المصدر نفسه، ص: ن.

خاتمة

خاتمة

بعد دراستنا لروايات محمد مفلاح استطعنا حوصلة بعض النتائج نوجزها في الأتي:

- صور لنا الروائي محمد مفلاح الحياة الاجتماعية وما عاشه والذي يعيشه الجزائريون من معاناة جراء المحتل الذي عمل على نشر الفساد والفقر والجهل وكل أشكال الدمار، لذا كانت الرواية بمثابة المرآة العاكسة للمجتمع الجزائري.
- وأن السلوك والمعاملات لأفراد الأسرة الواحدة، ومدى التحلي بالفضيلة والرذيلة هي التي تحدد القيم الأخلاقية والسلوكية.
- يعني مجتمعنا الجزائري كبقية المجتمعات العربية الأخرى عدة مشاكل اجتماعية، وتعترض سبيل تقدمه جملة من عوارض التخلف، ومظاهر الظلم والحيف، ومن جملة المشاكل المطروحة قضية المرأة.
- كما أنه كشف لنا ما يدور حول الأسر الجزائرية من مشاكل مثل: الطلاق، البطالة، التهميش وغيرها.
- بعد الأزمة التي عصفت بالمجتمع الجزائري خلال السنوات الماضية، والتي مست كل طبقات المجتمع، فاتخذت الرواية الأزمة من المأساة الجزائرية مدار لها.

-حاول محمد مفلاح من خلال بعض رواياته تقديم صورة عن فترة التسعينات فترة العشرية السوداء، التي عاشها الشعب الجزائري والوقوف على أبشع الجرائم التي اقترفتها الجماعة المتطرفة في حق المجتمع الجزائري.

- يعتبر محمد مفلاح الروائي الذي استطاع جمع ما هو سياسي وما هو اجتماعي، كما أنه اهتم بالشكل الفني بحيث جعل الشخوص منظمة واضحة من أجل لفت انتباه القارئ.
- كما أنه رصد الواقع التكنولوجي الذي تعايش معه المجتمع الجزائري.
- الاستعانة في كتاباته بالرواية البوليسية وهي القصة التي تردد أحداثها في أجواء بالغة التعقيد والسرية، تحدث فيها جرائم قتل بشعة، أو سرقة أو ما شابه ذلك، وأغلب هذه الجرائم غير

كاملة، لأن هناك شخصية تسعى إلى كشفها وحل ألغازها المعقدة، قد تتوالى الجرائم، مما يؤدي إلى كشف الفاعل،ويسعى الكاتب في بعض الأحيان إلى وضع شبهات حول شخصيات قريبة من الجريمة .

- تستمد روايات مفلاح قوتها من الواقع، باعتبارها تجسيدا لهذا الواقع، وخاصة في رواية الوساوس الغريبة، وخاصة فيما تعلق بالبنية الزمكنية.

-ومع هذا فإن جلّ الاعتبارات مهما كانت دينية أو عصبية لا يمكنها أن تفرض على واقع المجتمع الجزائري الانهزام أمامها كما لو كانت فضاء وقدرا، ذلك أنه وفي ظل هذه الأزمة يمكننا أن نصل إليها في مثل هذه الحالات.

- والملاحظ في فعل التطرف في المجتمع الجزائري خلال مرحلة العشرية السوداء، هو أن القناعة التي يدافع عنها الأبطال هي في الحقيقة لا تحمل اليقين التام لأنها متغيرة وتحمل الصحة والزيغ.

- إن العولمة هي ظاهرة الانتماء العالمي بمعناه العام، وهي تعبير مختصر عن مفاهيم عدة، فهي تشمل الخروج من الأطر المحدودة (الإقليمية والعنصرية والطائفية وغيرها) إلى الانتماء العالمي الأعم.

- تستخدم قوى العولمة الإمبراطورية الإعلامية الضخمة التي يملكها في فرض العولمة والسيطرة وتحقيق الأهداف في مجتمع الإعلام العالمي.

- لقد أعطت التحولات التي أتت بها العولمة للإعلام بعدا أكثر اتساعا حيث أثبت الإعلام بتقنياته الهائلة في السياسة والاقتصاد والفكر والفنون والثقافة بل هو محورها ومعرضها، وعلى هذه الدلالات كان لها لجبروت في تشكيل المعرفة وخلق المعايير الجديدة في تنظيم أنظمة القيم التقليدية السابقة.

- اهتم الروائي محمد مفلاح بقضايا المرأة والتي ترسم هموم ومشاكل ومطامح المرأة، وبالتالي تقديم صورة متكاملة للمرأة من النواحي النفسية والاجتماعية والجسدية.

- هناك نقاط مهمة أثارها الروائي محمد مفلاح أهمها دراسة الأحداث، درجة تردد الأحداث، والمواقف وهي من سمات الرواية الجديدة إذ تحل الأحداث محل البطل فيصبح الحدث هو المهم في حاضر الرواية، لتبقى مهمة القارئ جمع الأحداث وترتيبها في الذهن عند نهاية القراءة، كما توجد مسألة أخرى جديرة بالمتابعة تتصل بالسارد إذ لا يشارك في الأحداث إلا مشاركة استرجاعية على التذكر والاسترجاع.
- إن الإلمام بأي تجربة إبداعية في كافة تحولاتها تمهل القراءة متسعا من الإدراك لكيفية تكونها والاطلاع على خباياها الفكرية والأدبية واكتشاف الآليات الإنتاجية لبلورة الخطاب.

فقد جعل الروائي محمد مفلاح الخطاب السياسي ضمن خطابه الروائي وذلك رغبة منه في نقل الواقع الاجتماعي والسياسي الذي تعيشه البلاد بصدق ودقة لأن الجزائر قد مرت بتلك العشرية السوداء، ومرت بمشاكل سياسية كثيرة، ولم يكن الروائي بمعزل عن هذا الحراك السياسي والاجتماعي، فنقله لنا من خلال شخصياته الروائية التي اختارها بدقة وأسند إليها تلك الوظائف السردية.

فروايات محمد مفلاح تبين لنا الخصائص المشتركة التي تحكم مسار البطل في العمل الأدبي وتعطي صورة واحدة للثورة، لذلك عمد في نصوصه إلى تصوير المعاناة التي يعيشها البطل المواطن الجزائري بصفة عامة: القمع، التشرد، الجوع، الاستغلال، الحقد، العنصرية وغيرها من الممارسات التي عرف بها النظام الاستعماري.

رسم محمد مفلاح شخصيات رواياته رسما واقعيا يمد بصلة لمدينة غليزان، كانت بعض الشخصيات تتكلم بالعامية والأغلبية باللغة الفصحى إضافة إلى أنه وظف التراث الشعبي بكثرة.

وفي الأخير نسأل الله سبحانه أن نكون قد وفقنا في دراستنا لهذا الموضوع فله الحمد والشكر.

قائمة المصادر
والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

-القرآن الكريم

أولا: المصادر:

1. محمد مفلاح، الأعمال غير الكاملة، روايات، دار الحكمة، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007.
2. محمد مفلاح، انكسار رواية، دار طليطلة، 1430هـ-2010م.
3. محمد مفلاح، سفر السالكين، دار الكوثر للنشر والتوزيع، ط1، 2014.
4. محمد مفلاح، شبح الكليدوني رواية، ط1، 2015، دار المنتهى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر.

ثانيا: قائمة المراجع:

1. أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب، دط، الجزائر، 2007.
2. أبو جرة السلطاني، جذور الصراع في الجزائر، شركة دار الأمة، الجزائر، ط2، 1999.
3. الإمام محمد الطاهر ابن عاشور، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.
4. أنطوان بطرس، الأنترنيت شبكة تحتوي العالم، في كتاب حضارة الحاسوب والأنترنيت، الكتاب العربي، 2000.
5. حسن علي، تحديد الهوية ومشكلة الأصولية والتطرف في المجتمعات الإسلامية، كلية الدراسات الإسلامية، القاهرة، 1998.

6. حسن عماد مكاوي، تكنولوجيا الاتصال في عصر العولمة، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2003.

7. خليل فاضب، سيكولوجية الإرهاب السياسي، دار الطباعة المميزة، قطر، 1991.

8. سامية حسن الساعاتي، السحر والمجتمع (دراسة بصرية وبحث ميداني)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط2، 1983.

9. سعيد يقطين، قضايا الرواية العربية الجديدة "الوجود والحدود"، الدار العربية للعلوم ناشرون، الرباط، ط1، 2012.

10. سليمان ابن صالح الخراشي، العولمة، دار بلنسية، الرياض، 1419هـ.

11. سهام مارت، الفصحى والعامية وعلاقتها في استعمال الناطقين الجزائريين، مؤسسة الكنوز، دار الحكمة للنشر والتوزيع، 2011.

12. سيد مفرلي إدريس أحمد، الشعر الاجتماعي في المملكة العربية السعودية، دراسة تحليلية، دار العلم بجدة، المدينة المنورة، 2002.

13. صالح بشرى موسى، الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1994.

14. صالح مفقودة، المرأة في الرواية الجزائرية، قسم الأدب العربي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع، 2003.

15. عبد العال أحمد عبد العال، التكافل الاجتماعي في الإسلام، جامعة الأزهر، الشركة العربية للنشر والتوزيع.

16. عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2015.

17. عبد المجيد البصير، موسوعة علم الاجتماع، مفاهيم في السياسة والاقتصاد والثقافة العامة، دار المجد، الجزائر، 2010.

18. عبد المجيد عبد الرحيم، علم الاجتماع الحضري، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1976.

19. علي آيتأوشان، ديداكتيك التعبير والتواصل (التقنيات والمجالات)، دار أبي قرائر للطباعة والنشر، الرباط، 2010.

20. علي محمد شحو، الاتصال الدولي والتكنولوجيا الحديثة، مكتبة الإشعاع الفنية، الخرطوم، 2002.

21. عنصر عياشي، سوسيولوجيا الديمقراطية والتمرد بالجزائر، دار الأمير للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 1999.

22. فاروق أحمد مصطفى، الأنتروبولوجيا (دراسة التراث الشعبي دراسة ميدانية)، دار المعرفة الجامعية، 2008.

23. محمد أحمد حسين، الضوابط الشرعية لاستخدام وسائل التواصل الحديثة ووسائل التواصل الاجتماعي وأثرها على المجتمع، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2014.

24. محمد السيد فهمي، أطفال الشوارع، المكتبة الجامعية، الإسكندرية، ط1، 2000.

25. محمد علاء الدين عبد القادر، البطالة أساليب المواجهة لدعم السلام الاجتماعي والأمن القومي في ظل العولمة، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2003.

26. محمد نصيف، الحوار وخصائص التفاعل التواصلي، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2010.

27. مصطفى خشاب، الاجتماع العائلي، القاهرة، دت، دط.

28. نصير بوعلام، الأعلام والقيم في نظرية المفكر الجزائري، عبد الرحمان عزي، دار المهدي، الجزائر، 2005.

29. هانم إبراهيم، الانتماء والقيم، دار النهضة العربية، القاهرة، 2002.
30. وائل مبارك خضر فضل الله، أثر الفيسبوك على المجتمع، مدونة شمس، مصر، 2010.
31. يحي عمر الرشاوي، الهيمنة الإعلامية في ظل العولمة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2007.
32. يمنى العيد، الرواية العربية والبنية الفنية، دار الفرابي، بيروت، 2011.
33. يوسف نوفل، قضايا الفن القصصي، دار النهضة العربية، القاهرة، 1977.

الكتب المترجمة:

1. جوليان سيفري كارداري، تقنيات الاتصال الحديثة توجيهات وبحوث، ترجمة صالح العسري، المنظمة العربية للتربية والثقافة، تونس، 1993.
2. فيليب بروه، ترجمة الدكتور عرب صاميلا، علم الاجتماع السياسي، دار الشروق، بيروت، 1998.
3. محمد قاسم السيد محمود بدوي، قواعد المنهج في علم الاجتماع، تأليف إيميل دوركايم، مكتبة النهضة المصرية، د ت.

الرسائل الجامعية:

1. باسم محمودمكاكر، البث الفضائي الوافد وتأثيره على الأمن القومي، رسالة ماجستير، بغداد، جامعة المستنصرية، 2000.
2. سعاد إبراهيم صالح، الطلاق بين افطلاق والتقييد، رسالة ماجستير، مقدمة بكلية البنات الإسلامية، جامعة الأزهر، 1928، طبعة دار القاهرة، 2000.
3. عبد الحميد بوسماحة، الموروث الشعبي في رواية عبد الحميد ابن بن دوقة، رسالة ماجستير، معهد اللغة والأدب العربي، جامعة الجزائر، إشراف مصطفى السابق، 1991/ 1992.
4. عثمان بدري، وظيفة اللغة في الخطاب الروائي الواقعي عند نجيب محفوظ، أطروحة دكتوراه، إشراف عبد القادر هني، جامعة الجزائر، 1997/1996.

5. فارس حسن شكر البكري وصحافة الأنترنيت، دراسة تحليلية للصحف الإلكترونية بالفضائيات، رسالة ماجستير، كلية الآداب والتربية، الدنمارك، 2007.

6. الهاشمي ابن وضاح، تأثير متغيرات البنية الخارجية على أداء المؤسسات الاقتصادية الجزائرية، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية، جامعة فرحات عباس، سطيف، 2014/2013.

المقالات والمجلات:

1. حميد سراج جابر، مفهوم التواصل الاجتماعي عند العرب، مجلة أبحاث البصرة والعلوم الإنسانية، المجلد 39، العدد 1، 2016.

2. دال فضيلة، التلفزيون والجالية العربية بفرنسا، مجلة الشاشة الصغيرة، الجزائر.

3. عبد السلام حيدر، مسارات التحول السوسيولوجي في المغرب، منشورات جريدة الزمن، المغرب، 1999.

4. محمد ساري، رواية الانهيار دراسات في أدب محمد مفلاح، جريدة المساء، يوم 1987/11/29.

5. محمد ساري، محنة الكتابة، دراسات نقدية، منشورات الرزخ، الجزائر، ماي 2007.

6. مخلوف عامر، أثر الإرهاب في الرواية، مجلة عالم الفكر، المجلد 22، العدد الأول، سبتمبر.

7. وهيبة منداس، تجربة متخصصة سردية الوساوس الغريبة، دراسات في أدب محمد مفلاح.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

كلمة شكر

إهداء 1

إهداء 2

مقدمة.....أ-و

مدخل: الواقع الاجتماعي الجزائري

-تحديد المقصود والظاهرة.....02

-علاقة الرواية بالواقع: الرواية والواقع 03

-قضايا المجتمع: قضايا الرواية العربية.....07

-الواقع الاجتماعي في الجزائر.....12

-صورة المجتمع الجزائري.....13

الفصل الأول: صور التواصل الاجتماعي في روايات محمد مفلاح والعلاقات الاجتماعية الأسرية

-إشاعة روح الألفة.....17

-الرغبة في التواصل مع الغير.....19

-الروابط الأسرية (صلة الرحم، التهاني...).....20

-الزواج.....21

-العزاء والتأبين.....24

-تمكين المرأة من المشاركة في المجتمع.....26

-العدالـة.....28
-استخدام العامي في الحياة الاجتماعية.....31
-الحـوار.....33
-تجاوز الذاتية والنرجسية.....35
-الحريـة.....37

الفصل الثاني: صور التنافر الاجتماعي في روايات محمد مفلاح

-التطـرف.....40
-الجريمة.....42
-العنف.....44
-التهميش والحاجة إلى الانتماء.....47
-الهجرة أو الاغتـراب.....49
-الخمـر.....52
-غيـاب الأمانة في المجتمع.....53

الفصل الثالث: أثر العولمة على المجتمع الجزائري

-العولمة وتكنولوجيا الإعلام والاتصال.....58
-أثر وسائل الإعلام والاتصال على المجتمع الجزائري.....60
-التلفـاز.....60
-الأنترنيـت.....63
-الهاتف النقـال.....66
-الإذاعة.....68
-الصحافـة.....69

خاتمـة.....73

قائمة المصادر والمراجـع.....77

فهرس الموضوعـات.....83

ملخص: البعد الاجتماعي في روايات محمد مفلاح:

إن ارتباط الرواية بالحياة والمجتمع جعلها ذات طابع اجتماعي، فمن خلال هذه الروايات الإبداعية التي أثقلت كاهله، فقد كانت قضايا المجتمع الجزائري بمثابة الركيزة الأساسية التي يعول عليها الروائى في عمله الإبداعي.

لقد كشفت التجربة الروائية الجزائرية عن تنوع كبير في أنماط السرد وتقنيات الكتابة وأشكال التعبير وتنوع يعكس تعدد الأجوبة ويعرف المجتمع بأنه مجتمع ثابت ومنظم من الأشخاص والحيوانات، من نوع واحد، تقوم بينهم علاقات متبادلة والإنسان هو جوهر العملية الإبداعية، وما دراسة الأدب من منظور الأدب، إلا بحثا عما ينفع الانسان. ويعتمد وما يضره فيقصى ويبعد ينطلق مشروع محمد مفلاح من الحياة اليومية في أدق تفاصيليها لرسم صورة المجتمع الجزائري بصفة عامة والغليزاني بصفة خاصة معتمدا على الوقائع والأحداث، والأحاسيس المشحونة. وقد اعتمد على المنهج الإجتماعي في كتاباته.

فرواياته اجتماعية بامتياز لما تقدمه من مظاهر اجتماعية وصور تكشف عن علاقات خاصة تربط بين مجموعة من الفئات فهي تتضمن معرفة اجتماعية تكشف لنا عن ظاهرة السلطة والنفوذ في مجتمع متخلف، وعن علاقات تعري واقعا قائما بذاته والكاتب محمد مفلاح يعمد إلى النبش في اليومي والهامشي والظرفي، ويقدم لنا صورة اجتماعية يتبين من خلالها الوطن الذي نخرته مجموعة من الأمراض الاجتماعية التي تفشت فيه مؤخرا.

ومن هذا تصبح الكتابة الروائية المفلاحية التزام أخلاقي وأدبي، اتجاه الواقع والفئات البسيطة.

Résumé : La dimension sociale dans les romans de Mohammed Miflah:

Le rapport du roman à la vie et à la société en a fait un caractère social, et à travers ces romans créatifs qui pesaient sur lui, les enjeux de la société algérienne ont été le principal pilier sur lequel le romancier s'appuie sur son travail créatif.

L'expérience narrative algérienne a révélé une grande diversité dans les styles de narration, les techniques d'écriture et les formes d'expression, et une diversité qui reflète la multiplicité des réponses et définit la société comme une communauté stable et organisée de personnes et d'animaux, d'un seul genre, avec des relations mutuelles entre eux et l'homme est l'essence du processus créatif, et qu'est-ce que l'étude de la littérature dans la perspective de la littérature, Sauf à la recherche de ce qui profite à l'être humain. Il s'appuie sur ce qui lui fait du mal et le laisse à l'écart. Et il s'est appuyé sur l'approche sociale dans ses écrits.

Ses romans sont sociaux par excellence en raison des aspects sociaux et des images qu'ils présentent qui révèlent des relations particulières qui lient un groupe de groupes, car ils incluent des connaissances sociales qui nous révèlent le phénomène de pouvoir et d'influence dans une société arriérée, et des relations qui exposent une réalité autonome, et l'écrivain Muhammad Miflah entend creuser dans le quotidien, marginal et circonstanciel. Nous avons une image sociale à travers laquelle la nation qui nous a ravagés montre un groupe de maladies sociales qui s'y sont récemment propagées.

De là, l'écriture de fiction fictive devient un engagement éthique et littéraire vers la réalité et les catégories simples.